# الاستدلال القرآني

# ضرورة

# لدارسي المنطق

تأليف


## الدكتور : صلاح محمود الطحلي

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد بكلية الدراسات

الإسلامية والعربية - بنين - بالقاهرة

جامعة الأزهر



١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله فتق الألسن بأفصح الكلم ، وصلاة وسلاماً دائمين متلازمين على سيدنا محمد أفصح العرب والعجم ، وعلى آله وصحبه ذوى الفصاحة والبيان واللسن ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

فحينما نطل على الخريطة الدينية للأديان والملل والنحل والمذاهب والفرق المنتشرة على الكرة الأرضية نجدها عدداً هائلاً مهولاً قارب آلافاً خمسة وفق ما ذكرته موسوعة " جينز " العالمية للأرقام القياسية ، ثم إطلالة أخرى على الخريطة اللغوية للكرة الأرضية ، نجدها ضمت آلافاً ثلاثة من اللغات الحية وغير الحية ، يموت ويتلاشى كل عام خمس وعشرون لغة منها وتحتل لغات أخرى مكانها .. وهكذا تأتي هذه اللغة أو تلك اللهجة لتذهب أخرى ، وذلك باستثناء بعض اللغات الحية ، وفي طليعتها وصدارتها اللغة الأم : اللغة العربية ، التي خلدها القرآن الكريم أبد الآباد حينما نزل بها .

ومن تلك المقابلة بين هذه العدد الهائل من الملل والنحل والمذاهب وبين خلود اللغة العربية يسطع ضوء وصوت الاستدلال القرآني كضرورة ملحة لربط الأرض بهدى السماء .. والجمع بين الوحي والوجود ، بين عالمي الخلق والأمر ، بين الكتابين المسطور والمنظور أو القرآن الكريم والكون .. لكن : كيف ؟ ولماذا ؟

أما كيف نحقق ذلك : أ ــ فبترجمة القرآن ترجمة عملية تطبيقية حقيقية ــ لا لفظية فقط ــ " كما فعل عمر بن الحسام حين كان يقرأ

كتـــــــاب " المجسطي " (*) على عمر الأبهري فقال لهمـا بعـض الفقهاء ما الذي تقرأنه ، فقال الأبهري : أفسر آية من كتاب الله وهي قوله " أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها " سورة ق آية ٦ ، فأنا أفسر كيفية بنيانها " (١) ، ب ــ وإبراز التوجيه القرآني لحركة الحياة والأحيـاء الذي ينظم أمرها ويضبط سيرها

وقد كان إلى وقت قريب في سند بعض أشـياخ الأزهـر ــ كالشـيخ الطواهري شيخ الأزهر ــ أسماء فنون وعلوم كثيرة بعضها فـي العلـوم الشرعية النظرية والأخرى في العلوم الاجتماعية والعلوم الكونية والطبية .

**وأما لماذا الاستدلال القرآني :** فلأنه يصدر مباشرة مـن معـين الـوحي الإلهي الصحيح ، وليس أعرف وأخبر بالكون وما فيه إلا خالقه سـبحانه وتعالى ، ولأن لغة هذا الاستدلال خالدة باقية ، ثم لشموله سائر إتجاهـات ووجهات الطبيعة البشرية في جوانبها العقلية والحسية والإشراقية ، وفـي درجاتها وتركاتها الفكرية ، يصوب أخطاءها ، ويقوم اعوجاجها ، ويعيـد فطرتها إلى صفائها ونقائها ويهديها إلى رشدها في توجيهات واضحة وأدلة صريحة صحيحة ملزمة هادية حانية ، سواء لأصحاب الملـل السـماوية المحرفة ، أو النحل الأرضية المخرفة ، أو الفرق المارقـة ، والمـذاهب المشتتة إن راموا الانصياع إلى الحق والسير في موكب النـور والرشـد وليس ذلك إلا بالحجة والدليل .

---

(*) المجسطي : لفظة يونانية معرفة تعني هيئة الأفلاك ونظامها .

(١) ذكر تلك الواقعة الشيخ محمد الصادق عرجون " ت ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠ م رحمه الله في كتابه " موقف القرآن من نظريات العلم ومخترعاته الحديثة ص ٧٦ ، الناشر : معهد الأسكندرية الديني ١٣٧٨ هـ ــ ١٩٥٩ م .

ولما كان " المنطق " هو حامل لواء صياغة الأدلة والحجج والبراهين يدرس في المعاهد العلمية والمؤسسات الأكاديمية المتخصصة ، وكان الأزهر الشريف في طليعة من يقوم بدراسته ، وكنت ممن كلف بإلقاء بعض محاضراته ، وتدريس مقرراته ، فخرجت ـ ضمن ما خرجت ـ بضرورة أن يكون الاستدلال القرآني بأنواعه ومناهجه وأساليبه ، عماداً يرتكز عليه المنطق قديمه وحديثه في قضاياه ومسائله ينطلق منه ويهتدي بهديه ..

**أما المنطق القديم** : فلأنه في جل مسائله يعتمد على العقل الصرف [1] ، والعقل وحده لا يمكنه أن يسير سيراً راشداً مكتملاً إلا إذا انطلق من هداية إيمانية مسترشدا بالوحي الإلهي ؟

**وأما المنطق الحديث** : فلأنه يعتمد على العلم التجريبي من خلال الكون ولا يعلم أسرار الكون إلا الخالق سبحانه .

كذلك ضرورة أخرى : أين الاستدلال العام الشامل لجميع البيئات والأزمان والأشخاص ، بمختلف اتجاهاتهم ـ عقلية كانت أو حسية أو إشراقية .. وكان الجواب : إنه الاستدلال القرآني .

وثمة ضرورة ثالثة دعت إلى أن يكون الاستدلال القرآني عماد المنطق وهو القضاء على الخلاف المشهور في استخدام ودراسة المنطق أولا ، فنجده يجمع عقول وقلوب وأقلام المتخصصين في اتجاه واحد راشد ، يربط بين المنطق والعقيدة ،لأن المنطق سيكون استدلاله مستنداً إلى العقل

---

(١) فأصبح المنطق القديم أو منطق أرسطو منطقا صورياً ذهنيا مفرغاً من مادته وأمثلته الكونية على أيدي المترجمين النصارى الذين قصروه على ذلك بهدف استخدامه في المجادلة والمحاورة الذهنية في تناقضاتهم العقدية .

والإشراق والحس " الكون " وكل أولئك موصل إلى الخالق وإلى معرفة يقينية حقة .

ولك أن تزيد أيضا أن هذا الاستدلال القرآني لا يقتصر على فئة دون فئة وإنما سيأخذ الجميع إلى رحابه ، فخطابه للناس جميعا مفهوم للجميع على اختلاف طرائقهم وتخصصاتهم ، وتنوع ثقافاتهم وطبائعهم .

وتزيد أيضا : أن الاستدلال القرآني يزيل الجفوة المصطنعة التي لصقت بالمنطق ، فترى فريقا تهيب من دراسته ، وآخر نافر منه لجفافه وصعوبته ، وثالث رأى أن لا فائدة منه فهو عنده مضيعة للوقت وتشتيتا للفكر ، وتعسيراً لليسر وتصعيبا للواضح السهل !!

ومن هنا لمعت فكرة هذا البحث المتواضع والذي جاء تحت عنوان : **" الاستدلال القرآني ضرورة لدارسي المنطق "** سلكت فيه منهجاً تحليليا ، ونقديا ، ومقارنا ، وجاءت خطته مكونه من مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة .

أما المقدمة : فاشتملت على بيان أهمية الموضوع وسبب اختياره ومنهج البحث وخطته .

وأما التمهيد : فيشتمل على بيان أن الكون والقرآن والوحي والوجود متكاملان .

وأما الفصل الأول فعنوانه : مناهج المعرفة البشرية .

وأما الفصل الثاني فعنوانه : خصائص وميزات الاستدلال القرآني .

وأما الفصل الثالث فعنوانه : أنواع الاستدلال القرآني ومناهجه .

وأما الفصل الرابع فعنوانه : نماذج تطبيقية للاستدلال القرآني .

وأما الفصل الخامس فعنوانه : الاستدلال القرآني ضرورة لدارسي المنطق .

وأما الخاتمة فخصصتها : لبيان أهم النتائج ودعـوة العلمـاء لتفعيـل استخدام الاستدلال القرآني .

ثم فهرس الموضوعات .

وقد بان من خلال هذه الصفحات المتواضـعة أن مكانـة الاسـتدلال القرآني من علم المنطق كالجناح من الطير ، والسواد من العين ، وحاولت جهدي على إبرازه ، فإن أصبت في إلقـاء الضـوء علـى لآلئـه ودرره المكنونة فذلك بتوفيق الله ، وإن كانت الأخرى فحسبي حسن النية ، وقـد تكون نية المرء خير من عمله .

وما أبرئ نفسي إنني بشـر .. أسهو وأخطئ ما لم يحمني قدر

ولا ترى عذراً أولى بذي زلل .. من أن يقول مقراً إنني بشـر

وصل اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسـلم ، والحمـد لله رب العالمين ...

المؤلف

٥٩٠

## تمهيد

فإن الله عز وجل أرسل إلى عباده كتابين : كتاب مسطور وهو القرآن الكريم ، وكتاب منظور وهو الكون ، وكلاهما صورة للآخر ، فالكتاب المسطور لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد كما جاء في صحيح الحديث ، وكذلك الكتاب المنظور يقول عنه ربنا جل في علاه " **ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعه .. أبحر ما نفدت كلمات الله ...** " سورة لقمان الآية ٢٧ أي لو جمعت جميع أشجار الأرض فصارت أقلاماً يكتب بها ، وصارت البحور الكثيرة حبراً لتلك الأقلام ، لانتهت هذه الأقلام وحبرها وما انتهت آيات الله ومعجزاته في الكون ، يؤيد ذلك كذلك قوله تعالى " **قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا** " سورة الكهف الآية ١٠٩ فهناك علاقة وطيدة بين القرآن الكريم وبين الكون بسمواته وأراضيه ، أو بعبارة أخر بين عالم الخلق ــ وهو الكون ــ وعالم الأمر " وهو القرآن الكريم " ولذا جمع الحق سبحانه وتعالى بينهما في أكثر من موضع في القرآن الكريم " **ألا له الخلق والأمر** سورة الأعراف الآية ٥٤ " **الرحمن علم القرآن** " عالم الأمر " أو الكتاب المسطور ، " **خلق الإنسان** " إشارة إلى عالم الخلق ، وقوله تعالى : " **اقرأ باسم ربك الذي خلق** " عالم الخلق ، "**والذي علم بالقلم** .. " عالم الأمر [1] فهذا كتاب مسطور وذاك كتاب منظور وهذا عالم الأمر وذاك عالم الخلق وهذه آيات الله المتلوة وتلك آياته

---

(١) اقتبسنا هذه المعاني من الأستاذ علي عبد العظيم ــ رحمه الله ــ في كتابه " فلسفة المعرفة في القرآن الكريم " ص ٧ ــ ١٠ط مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة السنة الخامسة العدد ٦٥ غرة جمادي الأولى ١٣٩٣ هـ ــ يونية ١٩٧٣م ، ومن أستاذنا الدكتور علي جمعه مفتي الديار المصرية في مقال له بالأهرام .

المجلوة ، ولو تنجسم القرآن الكريم لكان آيات كونية ، ولو تحدثت الكائنات لكانت آيات قرآنية ، وصدق الله العظيم : " **ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى ، بل لله الأمر جميعاً ..** " (١)

ولذا كان طبعيا أن يكون القرآن الكريم شاملاً لكافة جوانب الحياة ، فيه الخبر اليقيني عن الكون بسمواته وأرضينه ، والمعرفة والعلم بما يتصل بعالمي الغيب والشهادة ، ويبدو هذا جليا منذ أول وهلة عند مطالعة هذا الكتاب المعجز فنجد أسماء السور لو قسمناها حسب مدلولاتها ومعانيها ألفيناها تشتمل على شتى جوانب الكون وما فيه ومن فيه من الحياة و الأحياء ، وترتيبها عددياً الأكثر فما يليه كالتالي :

١ ــ قسم من أسماء السور تدور معانيها حول الكائنات الطبيعية : مثل البقرة ، الرعد ، النحل ، النمل ، العنكبوت ، النور ، الشمس ، النجم ، القمر ، الدخان ، الحديد ، الليل ، الضحى ، الزلزال ، الجن ، الإنسان ، الفيل ، وغيرها .

٢ ــ قسم من أسماء السور تدور معانيها حول المجتمع والسياسة والأصناف الاجتماعية مثل : الأحزاب ، والمؤمنون ، والشورى ، النساء ، الصف .

٣ ــ قسم تدور معانيه حول التاريخ وأبطاله وأحداثه مثل : آل عمران ، الأنبياء ، يونس ، هود ، يوسف ، إبراهيم ، نوح ، الروم ، مريم ، سبأ ، محمد ﷺ .

٤ ــ قسم يشير إلى مسائل الغيب ويوم القيامة وأحداثه مثل : الأعراف ، القارعة ، الواقعة ، القيامة ، الحاقة ، النازعات ، الغاشية ، القدر

---

(١) الآية ٣١ من سورة الرعد .

٥ ــ قسم يدور حول المسائل الاقتصادية مثل : الأنفال ، الزكاة ، المائدة الأنعام .

٦ ــ قسم تدور معانيه حول المسائل الأخلاقية ، والصفات السلوكية مثل : عبس ، الهمزة ، المطففين ، الماعون .

٧ ــ قسم يدور حول العبادات مثل : الحج ، السجدة [١] .

فإذا ألقينا نظرة أخرى إلى بعض ما اشتمل عليه القرآن الكريم من الحديث عن الكون وما فيه فإننا نجد :

١ ــ الدعوة إلى النظر في المخلوقات عامة نظرة فلسفية عميقة متأملة ( أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء .. " الأعراف (١٨٥) .

٢ ــ وصف الأجرام السماوية مما تناوله علم الفلك " وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون .. " الخ الآيات من سورة يس ( ٣٧ ــ ٤٠) .

٣ ــ وصف الأرض وما فيها من جبال وأنهار وصحارى ووديان مما تناوله علم الجغرافيا وطبقات الأرض : " ألم نجعل الأرض مهاداً . والجبال أوتاداً " سورة النبأ ( ٦ ــ ٧ ) .

وقوله تعالى : " والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج " سورة ق (٧) .

---

(١) القرآن كتاب حياة : تأليف كاظم السباعي : ص ١٨ ــ ١٩ بتصرف يسير . ط : منشورات الأعلمي للمطبوعات ــ بيروت ــ لبنان ١٣٩٨ هـ ــ ١٩٧٨ م ، وتجدر الإشارة إلى أن مؤلف الكتاب شيعي ، حيث فنجد في ثنايا بعض سطور الكتاب ما يفصح عن هذا ، بيد أنه لا يمنع من النقل عنه ما عساه أن يكون صحيحاً .

٤ ــ وصف تكوين الإنسان العقلي والجسماني بما تناوله علم الطب وعلوم النفس " **فلينظر الإنسان مم خلق . خلق ممن ماءٍ دافق . يخرج من بين الصلب والترائب** " سورة الطارق ٥ ــ ٧ ، وقوله تعالى : " **ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها** " الشمس ( ٧ ــ ١٠ ) .

٥ ــ الصلات البشرية مما تناولته علوم الاجتماع " **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ..** " الحجرات (١٣) وتراجع آيات سورة الروم (٢١ ــ ٢٣) .

٦ ــ تكوين الحيوان مما تناوله علم الحيوان ، وقد سمي بعض سور القرآن بأسماء بعض الحيوان ، أو الحشرات ــ كما سلف ــ مثل سورة البقرة وسورة الأنعام وسورة النمل ، كما ذكر سبحانه في القرآن البعوض ، والجراد والضفادع وغيرها ، وقال تعالى " **أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبض ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير** " الملك (١٩) وقوله تعالى " **وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ..** " النحل (١٤) .

٧ ــ تكوين النبات مما تناولته علوم النبات : " **فلينظر الإنسان إلى طعامه . أنا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شقا . فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا . متاعاً لكم ولأنعامكم** " عبس ٢٤ ــ ٣٢ .

٨ ــ تكوين الجماد مما تناولته علوم الطبيعة والكيمياء ، قال تعالى : " وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار .. " البقرة (٧٤) وقال تعالى : " ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب

٥٩٤

سود " سورة فاطر (٢٧) وأشار إلى الحديد وآثاره في الحرب والسلام : " وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس " الحديد (٢٥) .

٩ ــ الظواهر الطبيعية مما تناولته أبحاث الفضاء وغيرها قال تعالى : " ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج منه خلاله .. " النور (٤٣) .

١٠ ــ كذلك إشارات صريحة إجمالاً وتفصيلاً عن العوالم المنظورة وغير المنظورة : فلا أقسم بما تبصرون . وما لا تبصرون " الحاقة ٣٨ ــ ٣٩ . وقوله تعالى : " ويخلق ما لا تعلمون " النحل (٨) ، " سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم .. " فصلت (٥٣) كل أولئك يبين لنا في جلاء ووضوح فتح القرآن الكريم لميادين المعرفة على أوسع نطاق [١] .

وقد وعي علماء الإسلام ومتكلموه ذلك ، فكان أن رأوا أن المعلوم ثلاثة أقسام :

١ ــ الرب تبارك وتعالى بصفات الكمال والجمال والجلال .

٢ ــ عالم الملك : وهو ما يدرك بالحس ، بما فيه عوالم الأشياء والأشخاص والأحداث ، ويمكنني أن أسيطر عليه بالميكروسكوب أو التليسكوب أو بالحواس المجردة .

٣ ــ عالم الملكوت وهو الموجود غير الواقع تحت الحس ، أو الحواس الظاهرة كالملائكة والجن والأرواح .. الخ لكن قد نصل إلى كشفه في يوم من الأيام ، وكل يوم نكشف فيه شيئاً فإنه ينتقل من عالم

---

(١) فلسفة المعرفة في القرآن الكريم ص ٥٨ ــ ٦٥ بتصرف .

الملكوت إلى عالم الملك الذي نراه يتزايد غير التاريخ البشري كاكتشاف الكهرباء ، الموجات (الفيمتوثانية) ، والذرة حتى الآن لا تزال في عالم الملكوت [١] .

وقد كانت نظرتهم لعالم الملك والعالم الحسي ،للكون شاملة وكلية ومنطلقة من القرآن الكريم والسنة النبوية ، وقد تخيلوا العالم على هيئة طائر منقارهُ أو رأسه في المشرق " الصين " وهناك جناح الشام وتركيا ، وجناح اليمن وما وراءها من جزر بحر العرب والمحيط الهندي ، والذيل مراكش " المغرب " ووراءه بحر الظلمات " المحيط الأطلنطي " حتى إنهم سموا الشام بهذا الاسم بمعنى الشأم أي الشمال ، وسموا اليمن بذلك لتعني اليمين ، وذلك بالنسبة لفم الطائر الذي تخيلوه ، فهذه إشارة تدل على أن رؤى هؤلاء كانت تشتمل على جوانب ورؤى فلسفية ، ورؤى معلوماتية أو ثقافية ، أو موضوعية ، وكانت في غاية التماسك والتشابك [٢] .

بعد هذه الإشارة إلى شمول الرؤية القرآنية ووضوحها وإعجازها ويسرها في الإخبار بالاستدلال والإقناع والإعجاز ، نطل على الواقع الدراسي للمنطق ، هل أفاد من ذلك أو لا ؟ فنجد الجواب فيما يلي :

١ ــ فقديما قال ابن رشد في مقدمته لكتاب الطبيعة لأرسطو : إن برهان أرسطو هو البرهان اليقيني ، ويمكننا أن نقول : إن الغاية الإلهية

---

(١) من مقال بعنوان : العقلية التراثية : كيف نرى العالم الخارجي ؟ لأستاذنا الدكتور على جمعة ، جريدة الأهرام ٢٠٠٧/٢/١٢م ، وينظر : مداخل إلى العلوم التراثية الإسلامية لفضيلته أيضا ص ٣١ .

(٢) ينظر : مدخل إلى العلوم التراثية الإسلامية للدكتور على جمعه ص ١٦

أرسلته إلينا لتعليمنا ما يمكن علمه [١] .

وحديثا قال الفيلسوف الغربي ( كانط ) (١٧٢٤م ــ ١٨٠٤م ) : " إن المنطق ولد كاملاً ومنتهيا منذ أرسطو [٢] .

٢ ــ أننا نجد جل المؤلفات والأبحاث المنطقية تدور في فلك المنطق الأرسطي القديم ، وإن أضيف إليها بعض ما أنتجه وأضافه وأبدعه مفكرو الإسلام [٣] من مباحث إلا أن ذلك كله خاطب جانبا واحداً في الإنسان ، وهو الجانب العقلي ، بعيداً عن الجانب الوجداني ، والواقع المشاهد المحسوس في الحياة ، ومن ناحية ثانية نجد هذا الجانب العقلي صوريا شكليا [٤] المراد منه إما بيان كيفية الغلبة والجدال ، وإما تدريبات ذهنية لا صلة لها بالواقع العلمي الحي ، وما تموج به الحياة من تيارات واتجاهات كالعلمانية والحداثة والبهائية وأشباهها ومن هنا كانت الحاجة إلى منطق تطبيقي واقعي يتفاعل مع الحياة والأحياء ، ويتخذ من الحياة والوجود مصدراً

---

(١) الفلسفة الإسلامية في المغرب للدكتور محمد غلاب ص ٧٤ ــ ٧٥ الناشر جمعية الثقافة الإسلامية ، وهذا الكتاب للدكتور غلاب قد نشر في سلسلة مقالات بمجلة الأزهر المجلد ١٣ ، ١٤ عامي ١٣٦١هـ ــ ١٣٦٢ هـ .

(٢) إشكاليات منطقية ووجهة نظر للدكتور مهدي فضل الله ، بحث بمجلة " الباحث " اللبنانية السنة التاسعة العددان الأول والثاني ١٩٨٧م ص ١٧ .

(٣) فقد أضاف مفكروا الإسلام إضافات في قسمي التصورات والتصديقات : يراجع : قصة الصراع بين منطق اليونان ومنطق المسلمين للدكتور سعد الدين السيد صالح ــ رحمه الله ــ ص ٥٠٩ ــ ٥٢١ .

(٤) فقد أفرغه المترجمون النصارى من الجانب المادي الذي كان يعني به أرسطو وذلك لأنهم وجدوا أن هذا الجانب المادي المتعلق بالكون يظهر تناقضات الأناجيل في حديثها عما يتعلق بالعقيدة والكون .

للمعرفة ، وليس ذلك إلا الاستدلال القرآني .

٣ ـ فإذا ما ذهبنا إلى الطالب الدارس للمنطق فأكتفي بقول د/ محمود قاسم ـ رحمه الله تعالى ـ عميد كلية دار العلوم الأسبق ( ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م ) عن بعض دارسي المنطق القديم وباحثيه وإن كان قاسيا نوعاً ما : " وقد لاحظت عن تجربة ، وخلال سنوات طويلة أن هؤلاء الذين درسوا منطق أرسطو منذ عهد مبكر وشغلوا أنفسهم به طيلة سنوات عديدة في طفولتهم وشبابهم أيضا لم ينتهوا إلى تكوين فكرة صادقة عنه ، بحيث يحسنون استخدام البراهين العقلية ، بل وجدت عديداً منهم أقرب إلى السفسطة منهم إلى الحكم السديد ، وكثيراً ما يحاول بعضهم التظاهر بمعرفة أشياء يجهلها في حقيقة الأمر ... " (١)

فإذا كان هذا حال بعض الأساتذة فما الظن بالتلاميذ ؟!

إن الاستدلال القرآني بما يحويه في طياته من مخاطبة البشر على اختلاف توجهاتهم وأفكارهم لجدير بأن يكون في صدارة المناهج على مستوى الإنسانية جمعاء في مجال الدراسات العقدية والعقلية والنفسية والاجتماعية ومناهج البحث والنظر والرد والاستدلال :

أ ـ فإنه يعتمد على الوحي .. وهذا للمؤمن .

ب ـ وكذلك يعتمد على العقل : وهو القاسم المشترك بين الإنسانية جمعاء

جـ ـ ويعتمد على الوجدان والقلب والعاطفة : وهذا لمن اقتنع عقله وفكره ولكنه يحتاج إلى هدوء نفسي وسكينة روحية واطمئنان قلبي ..

---

(١) دراسات في الفلسفة الإسلامية للدكتور محمود قاسم ص ١١٣ ط رابعة دار المعارف ـ مصر ١٩٧٢م .

د ـ ويعتمد على الحس المشاهد : وهذا ملزم لمن هو ملازم للعناد ، فلا يستطيع مع الإستدلال المادي المحسوس المشاهد إلا الإذعان .

وهذا ما يستجلي في طوايا ما نستقبل من صفحات ..

## الفصل الأول

## مناهج المعرفة البشرية والمنهاج القرآني

نبدأ الحديث أولا عن مناهج المعرفة البشرية لنرى موقع المنهج العقلي المنطقي الأرسطي منها ، ثم نعرضها على القرآن لنتبين هل يقرها متكاملة أو يقدم بعضها على بعض ، أو يقر بعضاً ويرفض بعضاً .. ، ويراد بالمنهج هنا الطريقة التي يسلكها الباحث في دراسته لموضوع ما بغية التوصل إلى قانون عام أو مذهب جامع أو إدراكه لحقيقة ما .

فنقول وبالله التوفيق : إن مناهج المعرفة ووسائلها متعددة أهمها وأبرزها :

١ ـ المنهج العقلي المنطقي الاستنباطي .

٢ ـ المنهج الحسي الواقعي التجريبي .

٣ ـ المنهج الذوقي الإشراقي .

٤ ـ المنهج النقلي الإلهي .

**أولا : المنهج العقلي المنطقي الاستنباطي :**

وينضوي تحت هذا المنهج اتجاهان ، أحدهما مغال في تقدير العقل ، والآخر وضعه في مكانته التي من أجلها خلقه الله تعالى ، أما الاتجاه الأول : فيمثله ما يعرف بـ " مذهب العقليين " : حيث يرى أصحابه أن العقل وحده كاف في إدراك المعارف ، وما الحواس إلا وسائل محدودة يتمتع بها الحيوان كالإنسان ، وقد تكون في الحيوان أرقى منها فمنه ما هو أرهف سمعاً من الإنسان ، ومنه ما هو أحد بصراً أو أدق ذوقاً أو شماً أو لمساً من البشر ، أما العقل فهو الذي يميز الصحيح من الزائف وهو الذي يهيمن على الحواس ، ومن أبرز زعماء هذا المذهب الفيلسوف الفرنسي "

ديكارت " (ت ١٦٥٠ م ) مؤسس المذهب العقلي في الفلسفة الأوربية الحديثة وكذلك " كانط " الذي صور مذهبه العقلي هذا في كتابه " نقد العقل الخالص " وهم لا يرفضون كل ما تجئ به الحواس ولكنهم لا يقطعون بإثباتها [١] .

وأما الاتجاه الآخر : الذي وضع العقل في مكانه الصحيح فلم يرتفع به إلى رتبه الكمال والعصمة ، والتقديس ولم يهبط به إلى دركه النقص والإهمال ، وإنما احتفى به كأساس لا يتم تكليف الإنسان إلا به ، وأنه هبة الله تعالى ، وتابع للوحي ، ويمكن أن نصور هذا الاتجاه من خلال نص للراغب الاصفهاني ( ت ٥٠٢ هـ ) يقول فيه :

" لله عز وجل إلى خلقه رسولان : أحدهما : من الباطن وهو العقل ، والثاني من الظاهر وهو الرسول ، ولا سبيل لأحد إلى الانتفاع بالرسول الظاهر ما لم يتقدمه الانتفاع بالباطن ، فالباطن يعرف صحة دعوى الظاهر ، ولولاه لما كانت تلزم الحجة بقوله " [٢]

وقد أشار القرآن الكريم إلى العقل ومشتقاته ومترادفاته في نحو ثلاثمائة وخمسين آية ، فسماه العقل ، والفكر ، والرأي ، والنظر " بمعنى

---

(١) فلسفة المعرفة ص ٢٠ ، والملكات العقلية في القرآن الكريم للأستاذ سيد أبو المجد ، محاضرة ألقيت ضمن المحاضرات العامة للموسم الثقافي الثاني ـ الدورة الأولى ـ بقاعة المحاضرات الأزهرية الكبرى " محمد عبده حاليا " ص ٨٩ ط مطبعة الأزهر . الناشر الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر ١٣٧٩ هـ ـ ١٩٦٠ م .

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني تحقيق ودراسة د/ أبو اليزيد العجمي ص ٢٠٧ ط أبناء شركة بالقاهرة ودار الوفاء بالمنصورة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

التدبر " ، والفقه ، والرشد ، والذكر ، واللب ، والنهي ، والحجر ، والقلب ، والفؤاد ، والحكمة ، والبرهان ، والبينة ، والهدى [١] .

وقد ربط القرآن الكريم قواعد المنهاج العقلي في الاستدلال والاستنباط الفطري السليم بقواعد الإيمان والهداية ، نلحظ ذلك في قوله تعالى : " **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب** " ، وقوله تعالى : " **الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب** " سورة الزمر ١٨ ، وفي المقابل يربط بين عدم إعمال العقل وعدم الهداية كما في قوله تعالى : " **وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون** " آية ١٧ من سورة البقرة [٢] .

وفي هذا الحوار الطريف بين شيخ مسن كبير ، وشاب فتى صغير ، استخدم الشيخ المسن العقل وحده ، وجمع الصبي الفتى بين العقل المستند إلى الإيمان ، فكان الغلبة له ، وقد صوَّر هذا الحوار في أبيات شعرية أحد الشعراء حيث قال عن الشيخ المسن الكبير الذي حاول أن يرى الله حساً وردّ الطفل عليه :

سعى ليدرك ذات الله عن كثب ... فأوغل السير في سهل وفي جبل
حتى إذا لم يجد في بحثه أملاً ... وأوشك العقل أن يختل من كلل
رأى غلاماً بشط البحر مشتغلا ... بحفر بئر بلا يأس ولا ملل
فقال ويحك !! ماذا تبتغي فرنا ... إليه في ثقة كبرى وفي أمل
وقال إني أريد البحر أنقله ... لهذه البئر هلا زدت في عملي

---

(١) الملكات العقلية في القرآن ص ٨٠ .

(٢) عناصر المنهج العلمي في القرآن والسنة د/ غازي عناية ص ١٥١ ــ ١٥٢ بتصرف .

٦٠٢

فقال ويحك هذا البحر تنقلـــه لهذه البئر ! هذا منتهى الخبـــل
فقال حسبك يا من جئت ترشدني لقد بلغت في لومي وفي جدلـــي
أأنت أكبر أم رب الوجود هدى حتى ترى وضعه في رأسك الثمل [١]

**ثانيا : المنهج الحسي الواقعي التجريبي :**

وسيلة المعرفة عند أصحاب هذا المنهج تقـوم فقـط علـى الحـواس الظاهرة أو الباطنة في الإنسان فإنها هي السبيل الوحيدة لصلاتنا بالعـالم ولولاها لأصبح العالم في نظرنا معدوماً أو شـبه معـدوم ، وإذا كانـت الحواس تخطئ فإنها تستطيع أن تدرك ما وقعت فيه من أخطاء عن طريق التجربة ، والعقل تابع لها متأثر بها ، لا يدرك الحقائق إلا عن طريقها ولا يستمد من غيرها اليقين ، وقد عبَّر " لوك " عن هذا بقوله " لا شيء فـي العقل لم يكن قبل ذلك في الحواس " [٢] وهل تنفرج أسارير وجه الإنسـان أو تنقبض إلا بناء على إعطاء حاسه البصر أو السمع إشارة إلى القلب ؟! أما المعقولات أو الغيبيات فلا وجود لها في نظرهم ،

ولذلك كان البحث عن الله والاستدلال على وجوده ببراهين مستمدة من العقل النظري يعدُّ عملاً غير مشروع ، كذلك اللغة وألفاظها وسيلة للتعبير عن المخلوقات ولا تفي ولا تصلح للتعبير عن الخالق لاخـتلاف وتغـاير

---

(١) الثمل : أي الصغير ، والأبيات للأستاذ عبد العليم القباني أحد شعراء الأسكندرية المعاصرين ــ رحمه الله ــ وقد نشرت في مجلة الأزهر في منتصف ثمانينات القرن العشرين في باب الشعر .

(٢) ينظر : فلسفة المعرفة ص ١٩ ــ ٢٠ ، والملكات العقلية في القرآن ص ٨٨ .

الأحكام " هكذا زعموا " ، وعلى ذلك فليس للإنسان أن يرتاد عالماً غير منظور ، ولا أن يجبر عقله على البحث في عالم غير محسوس [١] .

بيد أننا إذا أطللنا على القرآن الكريم وجدنا الأمر بخلاف ذلك فيقر بعضا ويعدّل بعضاً ، فقد جعل القرآن الكريم الجانب الحسي طريقاً من طرق المعرفة ، فلفت الأنظار إلى مختلف أجزاء الكون إنسان وحيوان ونبات وجماد وظواهر طبيعية ، ومظاهر حسية كالنجوم والأفلاك والبحار والجداول والأنهار ، واختلاف الليل والأنهار وتكررت مادة : شهد ورأي ونظر ومشتقاتها ، كما أشار القرآن الكريم إلى حواس الإنسان في أكثر من موضع :

أ ـ فحاسة الذوق ذكرت في قوله تعالى : " **فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما** " الأعراف ٢٢ .

ب ـ وحاسة اللمس في قوله تعالى : " **ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين** " الأنعام ٧ ،

جـ ـ وحاسة الشم في قوله تعالى : " **ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون** " يوسف ٩٤ .

د ـ وذكر السمع والبصر والفؤاد " القلب " في مثل قوله تعالى : " **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع**

---

(١) الحقيقة الإلهية ومناهج البحث في إثبات العقائد الإسلامية بحث للدكتور عبد الرحمن المراكبي بحولية كلية أصول الدين بالمنوفية العدد ١٤ لعام ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م ص ٩١ .

والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون " الآية ٧٨ من سورة النحل [١] ولما كانت أهم الحواس وأكثرها فائدة في بناء المعرفة حاستي السمع والبصر وجدنا القرآن يركز عليهما في مقامات متعددة من آياته الكريمة ، ويقدم ذكر السمع على ذكر البصر لأنه أكثر شمولاً من حاسة البصر فقد يتعلق بالماضي والغائب بالإضافة إلى الحاضر ، أما البصر فلا يتعامل إلا مع المرئيات الحاضرة والمباشرة فقط [٢] ولأن الإنسان حينما يولد تبدأ حاسه السمع في عملها قبل حاسة البصر كما يدلنا العلم الحديث .

ومع الاعتراف بالحواس كوسيلة وأداة للمعرفة إلا أن موضوعها ومجالها ومتعلقها وفق النظرة الإسلامية هو الحسيات الظاهرة في الفلك والأرض والطبيعة وما من شأنه أن يدرك بالحس ، وليس لها ارتياد منطقة اللا محسوسات " الغيبيات والإلهيات " لأنها فوق متناولها ، ومن ثمَّ فإن المنهج العلمي التجريبي لا يمكن تطبيقه في غير المحسوسات ، واستبعاد بعض العلماء الغربيين التجريبيين لوجود الله تعالى بحجة أن المنهج التجريبي لم يثبته يكون مصادرة على المطلوب [٣] ، وخطأ كبيراً في استخدام المنهج في غير ما وضع له وفي غير مجاله فكانت الأخطاء تترى

---

(١) نسق إسلامي لمناهج البحث العلمي للدكتور أحمد فؤاد باشا ص ٨١ ضمن بحوث الندوة التي عقدت بالجزائر بمشاركة جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية تحت عنوان " قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية ط المعهد العالمي للفكر الإسلامي ط أولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م .

(٢) نظرية المنطق بين فلاسفة الإسلام واليونان للدكتور محمد الجلنيد ص ٢٠٣ .

(٣) المصادرة على المطلوب : أخذ الدعوى في الدليل .

في النتائج وشيوع الإلحاد في أوربا [١] .

**ثالثا : المنهج الذوقي الإشراقي :**

وإذا كانت وسيلة المعرفة لدى العقليين هي العقل ، ولدي التجريبيين هي الحواس ، فإن الوسيلة عند أصحاب هذا المنهج تختلف ، لأنهم يرون أن العلم اليقيني إنما يجئ عن طريق الحدس لدي الغربيين ، أو الذوق والإشراق لدي الإسلاميين فلاسفة ومتصوفين ، وإن كان ثمة فرق في السلوك والتطبيق وإن اتفق الثلاثة " بعض الفلاسفة الغربيين ، ونفر من الفلاسفة المسلمين ، وجماعة المتصوفين " على المنهج الذوقي الحدسي الذوقي البصيري الإشراقي .

أ ــ فزعيم هذا المذهب من الغربيين " برجسون " وهو يرى أن العالم عالمان : عالم الحس وعالم الشعور ، فعالم الحس : هو العالم الذي يبحث فيه العلم الحديث بالملاحظة والتجريب ، أما عالم الشعور : وهو عنده العالم النفسي فلا يخضع للتجارب أو القياس ، ووسيلة المعرفة هنا : هي الوجدان أو البديهة أو الحدس ويسميها بعض الفلاسفة المحدثين بالحاسة السادسة ، ويقرر برجسون أنها تجعلنا نشعر بالأشياء عن بعد ، وأن نعرف بعض الغيبيات وعن طريقها يمكن قراءة الأفكار [٢] .

---

(١) يراجع : العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث للدكتور سعد الدين السيد صالح ص ٤٤ ــ ٤٥ ط ثانية دار الصفا ــ القاهرة ١٤١١هـ ــ ١٩٩١م .

(٢) فلسفة المعرفة ص ٢١ بتصرف يسير .

ب ــ وأما عند الفلاسفة المسلمين فنجد الفارابي(٢٥٩ هـ ــ ٣٣٩هـ ) في فصوص الحكم يقول : " إن لك منك غطاءً فضلاً عن لباسك من البدن فاجتهد أن ترفع الحجاب وتتجرد ، فحينئذ تلحق ، فلا تسأل عما تباشره ، فإن ألمت فويل لك ، وإن سلمت فطوبي لك ، وأنت في بدنك تكون كأنك لست في بدنك ، وكأنك في صقع الملكوت فترى ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .. " (١)

ويقول ابن سينا : " وإذا بلغك أن عارفاً حدَّث عن غيب فأصاب متقدما ببشرى أو نذير ، فصدق ولا يتعسرن عليك الإيمان به " (٢)

جـ ــ وأما المتصوفة : فيسمون هذه الوسيلة بالذوق أو الكشف أو العيان أو الوجدان ، أو كما يقول الشيرازي في شرحه لحكمة الإشراق للسهروردي المتوفى ( ٥٨٧ هـ ) : " أصل القواعد الإشراقية ومأخذها هو الكشف والعيان ، وأصل قواعد المشائين البحث والبرهان " .

فاعتماد الصوفيين ينهض على صفاء القلب ، ومجاهدة النفس حتى تصل إلى مرتبة من الصفاء تتصل فيها بالقوة اللانهائية المسيطرة على

---

(١) رسالة فصوص الحكم للفارابي ص ٢٠٧ ضمن كتاب المجموع ط الهيئة العامة للكتاب مصر ٢٠٠٧ م وفص الشيء عبارة عن خلاصة الشيء وزبدته ولما كانت المباحث المذكورة في هذه الرسالة عين الحكمة وخلاصة مسائلها ــ في نظر الفارابي ــ عنون كل طائفة مخصوصة منها بالفص ليشعر بجلالة مكانها ، ينظر : نصوص الحكم ــ بالنون ــ السيد محمد بدر الدين الحلبي على فصوص الحكم ــ بالفاء ــ للفارابي ص ١٨٩ نفس الطبعة .

(٢) العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث ص ٥١ .

في النتائج وشيوع الإلحاد في أوربا [١] .

**ثالثا : المنهج الذوقي الإشراقي :**

وإذا كانت وسيلة المعرفة لدى العقليين هي العقل ، ولدي التجريبيين هي الحواس ، فإن الوسيلة عند أصحاب هذا المنهج تختلف ، لأنهم يرون أن العلم اليقيني إنما يجئ عن طريق الحدس لدي الغربيين ، أو الذوق والإشراق لدي الإسلاميين فلاسفة ومتصوفين ، وإن كان ثمة فرق في السلوك والتطبيق وإن اتفق الثلاثة " بعض الفلاسفة الغربيين ، ونفر من الفلاسفة المسلمين ، وجماعة المتصوفين " على المنهج الذوقي الحدسي الذوقي البصيري الإشراقي .

أ ــ فزعيم هذا المذهب من الغربيين " برجسون " وهو يرى أن العالم عالمان : عالم الحس وعالم الشعور ، فعالم الحس : هو العالم الذي يبحث فيه العلم الحديث بالملاحظة والتجريب ، أما عالم الشعور : وهو عنده العالم النفسي فلا يخضع للتجارب أو القياس ، ووسيلة المعرفة هنا : هي الوجدان أو البديهة أو الحدس ويسميها بعض الفلاسفة المحدثين بالحاسة السادسة ، ويقرر برجسون أنها تجعلنا نشعر بالأشياء عن بعد ، وأن نعرف بعض الغيبيات وعن طريقها يمكن قراءة الأفكار [٢] .

---

(١) يراجع : العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث للدكتور سعد الدين السيد صالح ص ٤٤ ــ ٤٥ ط ثانية دار الصفا ــ القاهرة ١٤١١هـ ــ ١٩٩١م .

(٢) فلسفة المعرفة ص ٢١ بتصرف يسير .

ب ــ وأما عند الفلاسفة المسلمين فنجد الفارابي(٢٥٩ هـ ــ ٣٣٩هـ ) في فصوص الحكم يقول : " إن لك منك غطاءً فضلاً عن لباسك من البدن فاجتهد أن ترفع الحجاب وتتجرد ، فحينئذ تلحق ، فلا تسأل عما تباشره ، فإن ألمت فويل لك ، وإن سلمت فطوبي لك ، وأنت في بدنك تكون كأنك لست في بدنك ، وكأنك في صقع الملكوت فترى ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .. " (١)

ويقول ابن سينا : " وإذا بلغك أن عارفاً حدَّث عن غيب فأصاب متقدما ببشرى أو نذير ، فصدق ولا يتعسرن عليك الإيمان به " (٢)

جـ ــ وأما المتصوفة : فيسمون هذه الوسيلة بالذوق أو الكشف أو العيان أو الوجدان ، أو كما يقول الشيرازي في شرحه لحكمة الإشراق للسهروردي المتوفى ( ٥٨٧ هـ ) : " أصل القواعد الإشراقية ومأخذها هو الكشف والعيان ، وأصل قواعد المشائين البحث والبرهان " .

فاعتماد الصوفيين ينهض على صفاء القلب ، ومجاهدة النفس حتى تصل إلى مرتبة من الصفاء تتصل فيها بالقوة اللانهائية المسيطرة على

---

(١) رسالة فصوص الحكم للفارابي ص ٢٠٧ ضمن كتاب المجموع ط الهيئة العامة للكتاب مصر ٢٠٠٧ م وفص الشيء عبارة عن خلاصة الشيء وزبدته ولما كانت المباحث المذكورة في هذه الرسالة عين الحكمة وخلاصة مسائلها ــ في نظر الفارابي ــ عنون كل طائفة مخصوصة منها بالفص ليشعر بجلالة مكانها ، ينظر : نصوص الحكم ــ بالنون ــ السيد محمد بدر الدين الحلبي على فصوص الحكم ــ بالفاء ــ للفارابي ص ١٨٩ نفس الطبعة .

(٢) العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث ص ٥١ .

الأكوان اتصالاً يتيح لها من المعارف ما لا تصل إليه الحواس والعقـــول معاً [١] .

من ذاق طعام القوم يدريه : ومن دراه غدا بالروح يشريه .

والقرآن الكريم أشار إلى صحة هذا المنهج ــ وإن كان لـيس ملزمـاً للجميع ولا مطلوبا على سبيل الفرض والواجب منهم ــ حيث ذكر قصـة موسى عليه السلام مع الخضر الذي انكشف له من قبل الله تعالى مـا لـم يصل إليه نبي الله موسى بعقله كما ورد في سورة الكهف من خرق السفينة ، وقتل الغلام ، وإقام الجدار وتحدث عن آصف بن برخيا كاتب سـليمان عليه السلام قال تعالى : " **قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به ..** " النمل ٤٠ ، كما تحدث القرآن الكريم عن جزء أصيل من الجانب الـذوقي الإشراقي وهو الرؤى المنامية الصادقة الصالحة ، والتي هي من الله تعالى فذكر سبع رؤى أولاها رؤية الرسول ﷺ قبيل غزوة بدر ، والثانية رؤيـا نبي الله يوسف عليه السلام ، والثالثة والرابعة لصاحبي سيدنا يوسف فـي السجن ، والخامسة رؤيا ملك مصر في عهد نبي الله يوسف ، والسادسـة رؤيا الخليل بذبح ولده إسماعيل ، والسابعة رؤيا خاتم المرسلين لفتح مكة ودخوله هو وأصحابه المسجد الحرام آمنين .

**رابعاً : المنهج النقلي الإلهي :**

وهو الذي يعتمد الوحي الإلهي " القرآن والسنة " وحده سبيلاً للمعرفة ، لكن قد يقع البعض في المغالاة حتى يقف عند ظاهر النص ولا يعمل فهمه وعقله في ظلال النص فيقع في الخطأ كما حدث من الحشوية ، والمشـبهة والمجسمة وكما حدث من بعض الظاهرية أتباع المذهب الظاهري ، برغم

---

(١) الملكات العقلية في القرآن للأستاذ سيد أبو المجد ص ٨٩ ــ ٩٠ .

أن المنهج النقلي ذاته يرشد إلى عدم الوقوف عند ظاهر النص بل لابد من فقهه وتدبره وإعمال الفكر والنظر للوصول إلى ما يريده الوحي الإلهي ، ولذا جاء التعبير في القرآن بألفاظ التدبر والاستماع ــ وليس السماع ــ والفقه " **لهم قلوب لا يفقهون بها** .. " الأعراف ١٧٩ ، والعقل " .. **لآيات لقوم يعقلون** " البقرة ١٦٤ ، كما وجد في المقابل من أهمل هذا المنهج النقلي ففصل المعرفة عن الوحي والكون عن الخالق ، والدنيا عن الدين ، والوجود عن الموجد ، وهذا هو الاتجاه العلماني ..

وبين هؤلاء وهؤلاء كانت المذهب الوسطى القيم مذهب أهل السنة والجماعة الذي أخذ بالمنهج النقلي والذي من لوازمه استخدام الجانب العقلي ، فكانت المزاوجة بين العقل والنقل وقد أشار أبو حامد الغزالي إلى ذلك في مقدمه كتابه الاقتصاد في الاعتقاد .. وأن العقل مع النقل نور على نور .

تلك هي أهم مناهج المعرفة البشرية ، وبنظرة يسيرة في القرآن الكريم نجده قد جمعها كلها في منظومة متكاملة العقل مع النقل مع الحس مع القلب والبصيرة ، وأن الاقتصار على منهج واحد منها خطأ يؤدي إلى قصور في المعرفة .

ومن هنا ندرك أن ثمة قصوراً في الاستدلال المنطقي الأرسطي سواء أكان أرسطيا يونانيا صرفاً أم أرسطيا موجهاً حسب النظرة الإسلامية لأنه يعتمدا على الجانبين العقلي والحسي فقط ، أو مجرد الجانب الذهني الصوري فقط بعد تفريغه من محتواه المادي على أيدي المترجمين النصارى ــ كما سيأتي ــ وافتقد الجانب القلبي البصيري الوجداني

الذوقي(*) والجانب النقلي وتفوق الاستدلال القرآني الذي جمع بين أربعة أمور متعاضدة متكاملة :

الوحي الإلهي ، الجانب العقلي ، والوجداني الذوقي ، والحسي الواقعي المشاهد ، مما يجعله ضروريا لدارس المنطق ليفيد منه فائدتين أساسيتين :

أ ــ أولهما : استكمال عناصر الاستدلال من خلال هذه العناصر الأربعة التي لا يستطيع أن يكابر فيها أحد ، وإن كابر في جانب فسيحوطه الجانب الآخر ليكون في نهاية الأمر إما الاقتناع والانفعال وإما التسليم والإلزام .

ب ــ وثانيهما : الإقبال على دراسة المنطق برغبة وحب لاشتماله على هذه العناصر القرآنية التي تتوافق وفطرة وطبيعة الإنسان ــ كل إنسان ــ ليعود للمنطق رواؤه بعد الصعوبة والجفاف والجفاء .

وسنطل في الصفحات القادمة على صدق هذا الذي ذكرناه ببيان لميزات وخصائص الاستدلال القرآني .

---

(*) ومما يناسب المقام أن د/ أحمد زكي ــ رحمه الله ــ رئيس جامعة القاهرة الأسبق ورئيس وأول رئيس تحرير لمجلة العربي الكويتية وصاحب كتاب " مع الله في السماء " وكتاب " مع الله في الأرض " .. ذكر أنه في بعض دول العالم يضعون مواداً أدبية لطلاب التخصصات العقلية البحتة أو التي تكون تخصصاتها معادلات رياضية ومسائل حسابية صرفة حتى تكون هناك مواءمة بين العقل والقلب والحس .. ينظر : كتاب = (=) الحرية للدكتور أحمد زكي ــ سلسلة كتاب العربي عام ١٩٧٤م وهو عبارة عن مجموعة مقالات لأحمد زكي نشرت في مجلة العربي جمعت في هذا الكتاب بعد وفاته.

## الفصل الثاني

## خصائص وميزات الاستدلال القرآني

ماذا تصنع لو طلب منك ــ أيها القارئ الكريم ــ أن تضع السماء في وعاء أو تدخل البحر في إناء ؟ !! .

هكذا حال من يكتب في القرآن أو عنه أو حوله ذلكم الكتاب الإلهي المعجز ، لا يقل عن هذه الحالة بل يزيد .. وقصارى أن ألم بطرف عن تلكم الخصائص وهاتيكم الميزات لفرع من دوحة فروع تتعلق بالقرآن الكريم ، ألا وهو الاستدلال القرآني عساها أن تنير الدرب للسالكين الدارسين للمنطق بمختلف اتجاهاته القديمة والحديثة والمعاصرة ، وها هي ذي بعض تلك الخصائص والميزات :

١ ــ **انطلاق الاستدلال القرآني من خلال الوحي الإلهي الصادق الصحيح** .. فيسير العقل في ظلال توجيهات تعصمه من الزيغ والهوى ، مفرقاً بين ما أتيح له أن يبحث ويستدل ويفكر فيه ، من عالم الشهادة ، وبين ما لا طاقة له به وليس من مجاله وهو عالم الغيب ، ثم هو في عالم الشهادة لا يركب متن الشطط بل يتحدث مسترشداً بإخبار من خلقه " **إن في السموات والأرض لآيات للموقنين .. وفي خلقكم** "

وكما يقرر أحد الباحثين أنه : " ما من قضية عقدية ساقها القرآن الكريم إلا وقرنها بدليل صدقها وبرهان يقينها القطعي في دلالته [1] بخلاف الاستدلال الأرسطي فإنه يتحدث انطلاقا من فكر عقلي حر

---

(١) نظرية المنطق بين فلاسفة الإسلام واليونان للأستاذ الدكتور محمد السيد الجليند ص ٢٠٢ ط ١ مكتبة الزهراء ــ مصر ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٦ م .

بعضه وثني والآخر مادي ، والثالث لا يدري .. ولذا كانت نهايته في الاستدلال الوصول إلى قدم العالم وأزليته !!

ومن استقل به الهوى عبد الهوى ... ومن استجاب لمنطق الحق اهتدى

٢ ــ الإستدلال القرآني ينطلق صاحبه من التوحيد وينتهي إلى التوحيد فهو يبدأ بداية صحيحة ومن ثم يسير سيراً صحيحاً لينتهي إلى نتيجة صحيحة فهو يبدأ بداية الواثق المطمئن إلى أن الحق لا يتعدد ، الرؤية أمامه واضحة المعالم والقسمات والكون بما فيه ومن فيه كله دلائل وآيات موصلة إلى الحق جل وعلا .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وفي الوقت ذاته إبراز للتكامل بين الوحي والوجود في الوصول إلى الحق والصواب .

عكس المستدل الأرسطي الذي يبتدأ من فكر بشري اختلف أصحابه في كل مسألة وظن كل واحد منه أنه الصواب ، بل اختلف الفيلسوف مع نفسه في القضية الواحدة وانتهى إلى الشك والحيرة والإلحاد ، ولنذكر أن الفيلسوف الإنجليزي برتراند رسل تندر هؤلاء حينما ذكر أنه لو ألحد أحد من العوام لوصفه الناس بالجنون أما لو ألحد واحد من هؤلاء الفلاسفة لوصفوه بالفكر والذكاء الحاد وإن كان أخطأ الطريق ، ولو عقلوا لأفتوا أنه لا فرق إذن بين هذا العامي الجاهل وهذا الذي يزعمون أنه فيلسوف كبير !!!

٣ ــ الاستدلال القرآني يخاطب الفطرة في أسلوب طيّع سلس بغية إيقاظ القلب وأخذه في حب وبحب إلى الحق والصواب ولننظر إلى قوله تعالى " أمَّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء

فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أ إلـه مع الله .. ؟! النمل الآيات ٥٩ ــ ٦٥ .

بخلاف الاستدلال المنطقي الذي يخاطب أكثر ما يخاطب أصحاب اللدد والخصومة والغلبة والجدال ، والنفس إذا أحست بشيء من ذلك مالت أكثر إلى الخصومة والعناد .

٤ ــ الاستدلال القرآني متكامل لا يقتصر على زاوية أو جانب واحد كغيره ، بل يخاطب العقل والوجدان والحس في آن واحد .. وننظر إلى قوله تعالى " **وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون** .. الرعد ٤ ، فهو خطاب للعقل الذي يبين أن هذه الأنواع المختلفات الزروع والثمار لوناً وطعماً ورائحة ومنظراً برغم أن مصدر سقيها واحد وهو الماء لابد أن وراءه قدرة حكيمة وعلم خبير ، كما أنه في الوقت ذاته خطاب للوجدان فكيف يجحد الإنسان خالقه سبحانه وهو يتنعم بخيراته هذه الماثلة للعيان في كل آن ومكان ، وخطاب للحس فهي مرئية بالعين ، يذاق طعمها وتشم رائحتها ، وهي في أيدينا .

بخلاف الاستدلال الأرسطي الذي يقتصر على الجانب الذهني التخيلي الصوري الرمزي في كثير من الأحيان .

٥ ــ الاستدلال القرآني يتناسب مع جميع العقول والفهوم : فيفهمه العامي والمتخصص على السواء ، وللعالم أن يستنبط منه مزيداً حسب جده واجتهاده وإقباله على القرآن

يقول أبو حامد الغزالي في معرض المقارنة بين أدلة القرآن وأدلة المتكلمين : " ... فأدلة القرآن مثل الغذاء ، ينتفع به كل إنسان ، وأدلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس وتستضر به الأكثرون ، بل أدلة القرآن كالماء الذي ينتفع به الصبي الرضيع والرجل القوي ، وسائر الأدلة كالأطعمة التي ينتفع بها الأقوياء مرة ويمرضون بها أخرى ولا ينتفع بها الصبيان أصلا .... وأدلة القرآن تجري للعوام مجرى الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي ، وما سلكه الآخرون وراء ذلك من تنقير وسؤال وتوجيه إشكال .. "(١)

فعلى سبيل المثال عندما نقرأ قوله تعالى " **ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن أتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر ..** " سورة البقرة آية ٢٨٥ ، نجد العامي يفهم منها سر ذهاب الخليل عليه السلام إلى التحدي بالشمس لوضوحها أمام الناس ، وبعدها عن الأيدي

---

(١) ينظر : إلجام العوام عن علم الكلام ص ٨٧ بتصرف يسير ، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي الجزء الرابع الناشر دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ١٤٠٦ هـ ــ ١٩٨٦ م ، وهي طبعة مصورة من الطبعة الأصلية للكتاب التي طبعتها مكتبة الجندي بالحسين بالقاهرة . والدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية للدكتور عبد الكريم نوفان عبيدات ص ٤٩٢ ــ ٤٩٣ ط أولى دار النفائس ــ الأردن ١٤٢٠هـ ــ ٢٠٠٠م ويراجع المعجزة الكبرى للشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله ص ٣٩٥ ــ ٣٩٦ .

٦١٤

وارتفاعها في عنان السماء ... والعالم المتخصص يفهم فوق ذلك معان علمية كشفها العلم الحديث .

بخلاف الاستدلال الأرسطي الذي يقتصر على فئة خاصة من المتخصصين وهم بشأنه مختلفون .

٦ ــ الاستدلال القرآني يجمع بين الوضوح والإلزام للجميع :

يقول القاضي عبد الجبار " ت ٤١٥هـ " في معرض حديثه عن " إعجاز القرآن " : " واتفق فيه أيضا استنباط الأدلة التي توافق العقول وموافقته وما تضمنه لأحكام العقل على وجه يبهر ذوى العقول ويحيرهم ، فإن الله بينه على المعاني التي يستخرجها المتكلمون بمعاناة وجهد ، بألفاظ سهلة قليلة تحتوي على معان كثيرة [١] ويلتقي الشيخ محمد الصادق عرجون ( ت ١٤٠٠ هـ ــ ١٩٨٠ م ) رحمه الله ــ مع القاضي بقوله : " الاستدلال القرآني يسوق المعاني الدقيقة الاصطلاحية المنطقية التي يعتمد عليها المتكلمون في صورة تثير الوجدان والمشاعر النفسية ، وتدفع بالعقول إلى النظر دون ارتباط بهذه الاصطلاحات اللفظية والمعنوية التي لا يعرفها اليوم إلا القليل والذين يعرفونها لا يقفون معها في تفكيرهم " [٢] هذا عن وضوح الاستدلال القرآني أما عن

---

(١) المحيط في النبوات ــ المجلد الرابع ــ نقلاً من ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ص ٢١ ط مصر بدون تاريخ نقلاً من منهج الجدل والمناظرة في الفكر الإسلامي للدكتور بركات محمد مراد ص ١٥ ط أولى دار الصدر لخدمات الطباعة بالقاهرة ١٩٩٠ م .

(٢) ينظر : من رياض القرآن للشيخ محمد الصادق عرجون ص ١٠ مطبعة دار نشر الثقافة بالإسكندرية ــ الناشر معهد الإسكندرية الديني ١٣٧٨هـ ــ ١٩٥٩م .

إلزامه يقول ابن القيم ( ت ٧٥١ هـ ) : " فمن تأمل القرآن وتدبره اطلع فيه من أسرار المناظرات وتقرير الحجج الصحيحة وإبطال الشبه الفاسدة ، وذكر النقض والفرق ، والمعارضة والمنع ، على ما يشفي ويكفي لمن بصره الله وأنعم عليه بفهم كتابه [1] .

فحينما ادعى المشركون أن القرآن جاء به محمد من عند نفسه ، وادعى آخرون بأنه تعلم على بعض الرهبان ثم أتى به ، فردّ القرآن الكريم على الفريق الأول في إيجاز ووضوح وإلزام في نفس الوقت حيث قال تعالى لنبيه : " **وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون** " العنكبوت آية ٤٨ .

ورد على الفريق الثاني " " **ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين** " الإسراء آية ١٠٣ .

٧ ــ **الاستدلال القرآني واقعي : فلا يجنح إلى الخيال أو التعقيدات المربكة والتأويلات المنهكة سواء في طريقة وأسلوب عرض الاستدلال ، أو في القضايا والمسائل التي يستدل لها أوعليها ، فأما طريقة وأسلوب العرض فواضح ولما بيناه في الفقرات السابقة ، وأما قضاياه ومسائله فنجد القرآن لم يحدثنا ــ مثلا ــ عن الله إلا في الجوانب التي تدركها عقولنا وتجد مجالاً لفهمها ، بل تجد ثمرة واقعية في الوصول إليها ، فلم يحدثنا عن كنه ذاته سبحانه وتعالى لأنها أكبر وأوسع من عقل الإنسان ، ولأن العاقل إنما يبحث فيما يعود عليه بالنفع ، وكذلك في مسألة البحث عن جوهر وحقيقة**

---

(١) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية جـ ٣ / ص ١٧٦ ، والدلالة العقلية ص ٤٨٥ .

الروح ، وجانب معرفة الغيب واستطلاع المستقبل ... وفيما عدا ذلك أفسح المجال والاستدلال وفتح الطريق ، وجعل له الكون كله مسرحاً للتأمل والتقصي والبحث ، وتلك هي الواقعية البناءة التي تسهم في إسعاد الإنسان لأنه لم يبتعد عن عالمه ولم يخرج عن محيطه .. وحينئذ يعمل الإنسان في هذا الكون فتنكشف له خوافيه ، وتتضح له قوانينه ، ويعيش في مودة وأنس ، وينطلق معه مسبحاً باسم ربه خالق الكون والإنسان معا [1]

٨ ــ تنوع أساليب الاستدلال القرآني في المسألة الواحدة : زيادة في الايقان ، وقطعا لدابر الشك أو الإنكار : ففي الاستدلال على وحدانيته سبحانه وتعالى :

أ ــ تارة الإخبار الصريح المباشر : " **وإلهكم إله واحد** " .

ب ــ وتارة ببيان أن الوحدانية نداء الله للإنسانية في جميع مراحلها : " **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** " الأنبياء ٢٥ .

جـ ــ وثالثة بمخاطبة الفطرة " **أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أ إله مع الله** .. " النمل ٦٢ .

د ــ ورابعة بمخاطبة العقل : " **لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا** " الأنبياء ٢٢

---

(١) يراجع : واقعية القرآن للشيخ توفيق محمد سبع ص ٧٤ ــ ٨٠ ط مجمع البحوث الإسلامية السنة ٥ العدد ٧٠ شوال ١٣٩٣هـ ــ أكتوبر ١٩٧٣م .

" قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا " الإسراء ٤٢

وقوله تعالى : " ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون " المؤمنون ٩١ .

هـ ـ وتارة خامسة عن طريق ضرب الأمثال :

كقوله تعالى " وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كلّ" على مولاه أينما يوجهه لا يأتي بخير هل يستوي هو و من يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم " النحل ٧٦ .

وقوله تعالى " ضرب الله مثلا رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون " الزمر ٢٩

وقوله تعالى " ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء .. " الروم ٢٨

فالآية الأولى تبين أن الإله الذي يكلف عباده بما هو في وسعهم ونفعهم هو المستحق للعبادة وليست هذه الأصنام والأوثان التي لا تملك لنفسها ولا لغيرها نفعاً ولا ضراً بل هي عبء ثقيل على صاحبها تحتاج إلى حمايته وتفقده ورعايته !!

والثانية : أن الذي يتوجه إلى معبود واحد يأمره بما فيه صلاحه لا يقارن به من تتنازعه أهواء واتجاهات شتى متعددة بتعدد الآلهة التي يقوم إليها .

والثالثة : أن طبيعة الإنسان تأبى أن يشاركه في ملكه أحد فمن باب أولى : ينبغي أن ينزه المولى عن الشريك .

وبعد : فهذا طرف يسير وإشارات خاطفة لخصائص ميزات الاستدلال القرآني ، وتلك الخصائص وهاتيك الميزات مبثوثة في أنواع الاستدلال القرآني المتنوعة ومناهجه والتي نطل على طرف منها في الفصل التالي ...

٦١٩

## الفصل الثالث

## يتكون هذا الفصل من مبحثين : الأول : في أنواع الاستدلال ، والثاني : في مناهجه

## المبحث الأول : أنواع الاستدلال القرآني

القرآن الكريم هو الأصل الذي يصدر عنه الجميع فالنحوي والبلاغي والأصولي والمفسر بل المؤرخ وعالم الاجتماع وعالم النفس ، وغيرهم ..

، يضعون قواعدهم ونظرياتهم تبعاً لتوجيهات القرآن الكريم ، وعلى ضوء ذلك كانت أنواع الاستدلال القرآني التي استخرجها علماء العقيدة ليقتفوا أثره ويقتدوا به ويسيروا في فلكه ، وكذلك فعلوا مع السنة النبوية المشرفة [١] ، ونقتصر على شطر منها والجزء يدل على الكل .

**أ ــ النوع الأول : الأقيسة " أو التمثيل " :**

١ ــ القياس الإضماري أو قياس العلة : وهو القياس الذي تحذف فيه إحدى المقدمات الكبرى أو الصغرى لظهورها ودلالة المقام على حذفها [٢]

---

(١) سنخصص بحثاً مستقلاً ــ بإذن الله تعالى ــ عن الاستدلال النبوي ، وقد جمع ابن الناصح الحنبلي ما يقرب من مائة قياس للرسول ، ووضح أن الرسول ﷺ استخدم سائر أنواع الأقيسة ، ويذكر محمد إقبال (ت ١٩٣٨م ) رحمه الله : أن التماس الأسس العقلية للإسلام قد بدأت بالرسول نفسه ، ينظر : تجديد الفكر الديني لمحمد إقبال ص ٨ ، والمنطق عند المسلمين لسعد صالح ص ٧٥ ــ ٧٦ .

(٢) ينظر : تاريخ الجدل للشيخ محمد أبو زهرة ص ٦٤ ، منهج الجدل والمناظرة في الفكر الإسلامي للدكتور بركات محمد مراد ص ٣٣ ط أولى الصدر لخدمات الطباعة بالقاهرة ١٩٩٠م .

ومن الأمثلة التي ذكرت في القرآن الكريم : " **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** " آل عمران ٥٩ .

فمن المعاني التي تقتصد إليها الآية الكريمة : إذا كان الخلق من غير أب مبرراً لاتخاذ عيسى إلها فأولى أن يكون الخلق من غير أب ولا أم مبرراً لاتخاذ آدم إلها ، ولا أحد يقول ذلك (١) .

ويلاحظ أن إحدى المقدمتين محذوفة ، إذ لو كان في غير القرآن لكان الشكل كما يلي :

إن آدم من غير أب ولا أم ، وعيسى خلق من غير أب ، فلو كان عيسى إلها بسبب ذلك لكان آدم أولى بالألوهية ، ولكن آدم ليس ابنا ولا إلهاً باعتراف النصارى أنفسهم ، فعيسى أيضا ليس ابنا ولا إلهاً (٢) .

٢ ــ قياس الدلالة : وهو أن يقيس المستدل الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه أو على أمر بدهي لا تنكره العقول وتقربه الأفهام ، ويبين الجهة الجامعة بينهما (٣) .

وهذا القياس له أمثلة كثيرة في القرآن الكريم كما في قوله تعالى : " **ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير** " فصلت ٣٣ .

---

(١) المعجزة الكبرى للشيخ محمد أبو زهرة " ت ١٩٧٤م " ص ٣٣٩ ط دار الفكر العربي مصر ، ويراجع : إعلام الموقعين لابن القيم جـ ١ ص ٢٣٢ .

(٢) المعجزة الكبرى ص ٣٣٩ .

(٣) المعجزة الكبرى للشيخ أبو زهرة ص ٤٠٤ ويراجع : إعلام الموقعين لابن القيم ١٣٩/١ والدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية للدكتور عبد الكريم نوفان عبيدات ص ٤٦٤ ط أولى دار النفائس ــ الأردن ١٤٢٠هـ ــ ٢٠٠٠م .

٣ ــ قياس الخلف : إثبات صحة الأمر عن طريق بيان بطلان نقيضه ، فإنه إذا كان النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان ، فلا يخلو المحل من أحدهما كالمقابلة بين العدم والوجود ، فإذا قام الدليل على انتفاء أحدهما كان ذلك حكما بوجود نقيضه ، ومثاله استدلال القرآن الكريم على إبطال ما عليه المشركون من عبادة الأوثان ، فيثبت الأمر الآخر المقابل له والذي هو محل نزاعهم وهو التوحيد [١] وهذا القياس يسمى عند المتكلمين " دليل التمانع " ، وإن كنت أرى أن التمثيل لقياس الخلف بالمثال السابق وهو إبطال عبادة الأوثان ينتج إثبات الوحدانية ، فإن هذا مسلم إذا كان الخصم متردد بين شيئين فقط التعدد أو التوحيد ، لكنه ليس بحجة على الملحد مثلاً ، ومن ثم فالخطأ في تحميل القرآن الكريم ما لا يحتمل وتوجيه الآية وجهة على غير ما يريد القرآن الكريم ، وإن أردنا في هذا المقام استدلالاً لقياس الخلف من القرآن فيكون قوله تعالى " **أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون** " فالآية حصرت الأمر بين أن يكون الإنسان لم يخلقه أحد ، أو هو الخالق لنفسه وكلاهما منتف عقلاً وواقعاً ولذا كان الاستفهام تقريرياً ، فلم يبق إلا أن الخالق هو الله تعالى الذي أخبر بذلك .

٤ ــ قياس الأولى : ما يكون الحكم المطلوب فيه أولى بالثبوت من الصورة المذكورة في الدليل الدال عليه [٢] فالأمر المقيس التي نستدل له

---

(١) يراجع : معيار العلم لأبي حامد الغزالي بتحقيق محمد مصطفى أبو العلا ص ١٢٧ تحت عنوان : الصنف الرابع : في قياس الخلف ط مكتبة الجندي بالحسين ــ بالقاهرة ١٩٧٣م والمعجزة الكبرى للشيخ أبو زهرة ص ٤٠٠ ، والدلالة العقلية في القرآن ص ٤٦٨ ــ ٤٦٩ ، ومنهج الجدل والمناظرة في الفكر الإسلامي ص ٣٤ ــ ٣٥ .

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية ص ٩٧ فصل في بيان طريقة السلف والأئمة في كونه تعالى متكلما . تحقيق وتعليق سعيد بن نصر ط أولى مكتبة الرشد ــ بالرياض ١٤٢٢ هـ ــ ٢٠٠١ م .

بشيء يلاحظ أن استحقاقه لهذا الحكم أشد وأقوى وأولى من نظيره المقيس عليه .

وقد استخدم السلف هذا القياس في الاستدلال على كثير من القضايا الغيبية ، في إثبات الوحدانية لله تعالى ، والصفات الإلهية الكمالية من العلم بالقدرة والإرادة ..، وكذلك في قضية البعث وغيرها .

ففي الوحدانية : نجد قوله تعالى " **ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم ..** " الروم ٢٨ ، فإذا كان العبد لا يرضى أن يشركه غيره فيما يملك فمن باب أولى الخالق جل وعلا .

وفي الصفات : فكل كمال ثبت للمخلوق فهو ثابت للمولى عز وجل ، وكل نقص يتنزه عنه المخلوق فمن باب أولى الخالق جل وعلا ، فكيف يستنكف المشركون من نسبة الإناث إليهم ، ثم يجعلون الملائكة إناثا وينسبونهم إلى الله تعالى ..

وفي البعث نجد الآيات الكثيرة وفي طليعتها " **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ..** " الروم ٢٤ .

**ب ــ النوع الثاني من أنواع الاستدلال القرآني : الاستدلال بالتعريف :** وهو أن يؤخذ من صفات موضوع الاستدلال دليل الدعوى [١] ، وذلك بأن يتخذ المجادل من حقيقة الأصنام دليلاً يصلح أنها لا تصلح أن تكون معبوداً ، وأن يتخذ من صفات الله تعالى دليلاً على أن يكون الله وحده المستحق للعبادة .

ومثاله في القرآن : قول الخليل لأبيه كما حكاه القرآن : " **يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا** " مريم ٤٢ [٢]

---

(١) يراجع : المعجزة الكبرى ص ٣١٦ ، منهج الجدل والمناظرة ص ٢٧ .

(٢) يراجع : منهج الجدل والمناظرة ص ٢٧ ــ ٢٨ .

**جـ ـ النوع الثالث : الاستدلال عن طريق المقابلة بين أمرين غير متساويين :**

مثاله في سورة الرعد في المقابلة بصيغة الاستفهام التقريري بين الله تعالى والأوثان ، وبين الأعمى والبصير ، وبين النور والظلام ليظهر التفاوت الجلي وتتقرر الحقيقة الناصعة ، فيقول تعالى : " **قل من رب السموات والأرض قل الله ، قل أفتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور** .. " سورة الرعد ١٦ ، ومن خلال تلك المقابلة تصل إلى تلك النتيجة أنه : لا يستقيم أن نسوي بين جمادات جاثمة لا تحرك ساكنا ، وبين بديع السموات والأرض خالق كل شيء [١] ، ولذا كان تذييل الآية : "**قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار** " .

تلك أبرز أنواع الاستدلال القرآني ، ننتقل بعدها لنبين المنهج التي تعتمد عليه تلك الأنواع من الاستدلال وغيرها في المنظور القرآني ، وذلك في السطور القادمة .

---

(١) ينظر : منهج الجدل والمناظرة ص ٢٩ ـ ٣٠ .

## المبحث الثاني : مناهج الاستدلال القرآني

سبق أن ذكرنا في هذا البحث عند الحديث عن " مناهج المعرفة البشرية " أن القرآن الكريم استوعبها ووجهها توجيهاً صحيحاً ، وأن منهجه يعتمد الحس والعقل والذوق أدوات ووسائل للمعرفة في ظلال توجيه الوحي الإلهي لتشكل كلها منهجاً واحداً متكاملاً منضما بعضها إلى بعض ، وهنا نخطو خطوة أخرى نلقي فيها مزيداً من الضوء على هذا المنهج القرآني ببيان كيفية استخدام وتطبيق هذا المنهج ، ثم المجالات التي يتم فيها هذا التطبيق .. وذلك فيما يلي بإيجاز :

يمكن للقارئ المتدبر أن يستخلص من خلال فهمه لآيات القرآن الكريم أنه وضع للمنهج والاستدلال العقلي جانبين :

أ ــ جانب الهدم ب ــ جانب البناء

أ ــ فأما الجانب الأول وهو جانب الهدم : فيتلخص في تفريغ العقل والفكر من كل المقررات السابقة التي لم تقم على يقين وأدت إلى معرفة خاطئة وهي :

١ ــ إبطال الحكم على الرأي بالخطأ والصواب من حيث عدد أتباعه ، فليست القلة والكثرة هي المقياس للحكم بصواب الرأي أو خطأه دون نظر في حقيقة هذا الرأي أو القول فقال تعالى : " **وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ..** "

وفي المقابل : " .. **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم** .. "

٢ ــ نبه إلى ترك الأهواء والميل الشخصي وأن يكون سبيل الإنسان التجرد التام للوصول إلى الحقيقة فقال عن طائفة من

هؤلاء .. " ... إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس .. " وقال تعالى : " فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا .. " النساء ١٣٥ " ومن أضل ممن اتبع هواه بغير علم "

٣ ــ حذَّر القرآن الكريم من تقاليد البيئة وموروثاتها ، ففيها ما هو صواب وما هو خطأ فهي ليست حجة يقينية ، كما في قول الكفار فيما حكاه القرآن عنهم : " اجعل الآلهة إلها واحداً .. " سورة ص آية ٥ ، وقولهم : " وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم " سورة الزخرف آية ٣١

٤ ــ حذَّر القرآن من مصدر شائع للأخطاء وهو التأثر بالآباء والأجداد والمشاهير .. وأخذ أقوالهم وآرائهم كقضايا مسلمة لا تقبل المناقشة !! وحجتهم في ذلك أن الكبار أعقل وأصوب وأرشد من الصغار ، والقدماء أحكم وأتقن وأوثق من المحدثين .. فيرد القرآن تعميم هذا الزعم فيقول تعالى : " وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون .. " البقرة ١٧٠ .

ب ــ وأما الجانب الثاني : وهو جانب البناء : فيمكن أن نوجزه استنباطاً فيما يلي :

١ ــ أن يكون القول أو الخبر أو الاعتقاد مؤيداً بالبرهان ، وفي سبيل ذلك بين أنه على الإنسان أن لا يقول ما لا يعلم وفي المقابل لا يقبل أمور لم يتحقق من صدقها " ولا تقف ما ليس لك به علم " الإسراء آية ٣٦ ، " قل هاتوا برهانكم .. " الأنبياء ٢٤ ، وقوله تعالى : " ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه .. " المؤمنون ١١٧ .

٦٢٦

٢ ــ استقامة الفكر وانضباطه واتساقه : حيث وصف كلام الكفار في القرآن الكريم بقوله تعالى " **إنكم لفي قول مختلف** " الذريات ٨ أي متناقض ، وفي مقابل ذلك يصف القرآن الحكيم بأنه " **كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير** " سورة فصلت آية ٣ ، وفي موضع آخر " **الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني** .. " أي يشبه بعضه بعضاً في الحسن والبيان والوضوح ، وقوله تعالى لخاتم النبيين ﷺ : " **... وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم** " الشورى ٥٢ .

٣ ــ كيفية البرهان والاستدلال : فأرشد القرآن الكريم أن تكون البراهين والأدلة واضحة في صور مبسطة ميسرة تلاءم عقول المخاطبين ، لأن الله تعالى لم يرسل رسولاً إلا بلسان قومه ، وجعل القرآن ميسراً للذكر ، وأمر رسوله ﷺ أن يعلن على الناس قوله كما حكاه القرآن الكريم : " **وما أنا من المتكلفين** " سورة ص آية ٨٦ ، فيقع البرهان من المخاطب ، موقع الماء العذب على الأرض الظائمة فتقبل عليها وتنتج أفضل الثمار [١]

لكن ما المجالات والميادين التي تستخدم فيها تلك المناهج ؟!

إنها الكون بسمواته وأراضينه وما فيه من مظاهر وموجودات وكائنات ... " **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** .."

---

(١) يراجع : العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث للدكتور سعد الدين صالح ــ رحمه الله ــ ص ٥٤ ــ ٦٢ ، والمنطق عند المسلمين لنفس المؤلف ص ٥١ ــ ٥٩ ، ويقارن : نظرية المنطق بين الإسلام وفلاسفة اليونان للدكتور محمد السيد الجليند ص ٢٠١ وما بعدها ، وفلسفة المعرفة في القرآن الكريم ص ٤٣ ــ ٤٥ .

سورة فصلت ٥٣ ، وقوله تعالى : " **وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون** " الذريات ٢١ ــ ٢٢ .

فإذا أردنا تفصيلا وعرضاً للاستدلال القرآني كتطبيق عملي لهذا المنهج ، فهذا ما ستذكر طرفاً منه الصفحات القادمة في الفصل التالي ..

٦٢٨

## الفصل الرابع

## نماذج تطبيقية للاستدلال القرآني

ونمضي مع القرآن الكريم في استدلاله بعد ذكر خصائصه وأنواعه ومنهجه .. لنجد القرآن الكريم لا يقتصر على الأمر بالفكر والنظر ، ولا على إبانة طرقهما وإباحتها فقط ، بل يعطي لقارئيه وناظريه نماذج متعددة ليسلكوها ويقتفوا آثارها ويسيرون على ضوئها في تفكرهم وتأملهم واستدلالاتهم ، وها هي ذي بعض تلك النماذج :

أ ــ الاستدلال القرآني على وحدانية الله تعالى :

يقول تعالى في سورة الواقعة " الآيات ٥٧ ــ ٧٤ " : ـــ " **نحن خلقناكم فلولا تصدقون . أفرأيتم ما تمنون . أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون . نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين . على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون . ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون . أفرأيتم ما تحرثون . أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكهون . إنا لمغرمون . بل نحن محرومون . أفرأيتم الماء الذي تشربون . أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون . لونشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون . أفرأيتم النار التي تورون . أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون . نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين . فسبح باسم ربك العظيم** "

والآيات الكريمات لا تحتاج إلى تعليق يفسد جوها الإيماني العقلي المنطقي الحسي الذي تنفعل له النفس ويهتز طرباً له القلب ، ويذعن له راضياً العقل والحس ..

ب ــ الرد على شبهتي القول بأن الرسول تعلم القرآن من رجل أعجمي :

فصور القرآن الكريم الشبهة ورد عليها في إيجاز وإقناع وإلزام :

١ ــ فقال تعالى : " **ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ..** "

وردّ عليه : " **... لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين** " أي لو كان خاتم النبيين قد تعلم من رجل أعجمي لجاء بكتاب من نفس اللغة ، أما أن يأتي بكتاب معجز وبلغة مغايرة فهذا ردّ عملي واضح لا يحتاج إلى مزيد بيان أو شرح وتفصيل .

جـ ــ الاستدلال على البعث :

قال تعالى في سورة الحج آية ٥ : " **يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد على أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ..** "

ويعلق الشيخ محمد الصادق عرجون رحمه الله تعالىٰ على تلك الآية الكريمة بقوله : " وهذا استدلال قطعي ، لا تعوزه أقيسة المناطقة وتعقيدات المتفلسفين لأنه قائم على مقدمات صادقة تؤمن بها الفطر النقية ، فالذي خلق الإنسان خلقاً بعد خلق ، وصوره طوراً بعد طور ، بدأ خلقه تراباً ، ثم نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم جنيناً يتحرك في قرار مكين ، ثم أخرجه طفلا يتنسم أنسام الحياة ، ثم سواه شاباً سوياً ، ورباه حتى جعله شخصاً قويا ، يعمر منه من يعمر حتى يبلغ أرذل العمر ، فيرتد عقله وتصوراته وعواطفه ومشاعره إلى خلق الطفولية ويجهل بعد علم ،

ويضعف بعد قوة ، ويخترم بالوفاة في أجله المحتوم من يشاء ، تقول الآية الكريمة مخاطبة الإنسان في عموم أفراده :

من كانت هذه قدرته في نشأتك الأولى وخلقك وأطوار حياتك المشاهدة لك ، لا يعجزه إحياؤك بعد موتك وإعادتك بعد فنائك ليوفيك جزاء عملك ، فهو قادر على كل شيء وهو الخلاق العظيم .

وقد تكرر هذا اللون الاستدلالي على البعث في القرآن بصور مختلفة في الإجمال والتفصيل [١] .

فهذه إشارات يسيرة للاستدلال القرآني لم نرد أن نكثر منها لشهرتها وكثرتها في القرآن الكريم ، وننتقل لبيان تأثيره وضرورته لدارسي المنطق .

---

(١) من رياض القرآن للشيخ محمد الصادق عرجون ص ٥ ــ ٦ .

## الفصل الخامس

## ضرورة الاستدلال القرآني لدارسي المنطق

وبعد هذه الإطلالة على الاستدلال القرآني خصائصه ومميزاته وأنواعه ومناهجه التي استوعبت مناهج المعرفة البشرية ، وذكر طرف يسير من النماذج الاستدلالية القرآنية ، نقف هنيهة لنقرر أنه في المقابل بالرغم من زعم أرسطو أن المنطق الذي وضعه عام تصلح قواعد للتطبيق على مختلف أنواع الموضوعات ، وأنه يصل إلى حقائق ثابتة لا تقبل التطور، وأنه انتهى إلى النظرية النهائية الكاملة التي تفسر طبيعة التفكير وتشرح صور البرهان [١] . وقول أحد فلاسفة أوربا : " ألقى أرسطو على كتاب الكون نظرة صائبة ففسره وشرح غامضه .. " [٢] إلا أننا نجد :

أ ــ أن هذا المنطق لم يصل إلى نتائج وحقائق ثابتة ولم يعصم من الخطأ في كل الأحوال .

ب ــ بالإضافة إلى وصول المنطق إلى العالم الإسلامي مفرغاً من جانبه المادي ونظرة أرسطو إلى الكون التي زعموا أنها كانت صائبة فجاء مشوهاً مفرعاً مؤكدا انتفاء عصمته في نفسه وبالأولى لغيره من الخطأ .

---

(١) يراجع : أسس الفلسفة للدكتور توفيق الطويل ص ٤٠٧ ط سابعة دار النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٧٩ م ، والمناهج بين النظريتين الأحادية والتعددية للدكتور محمد علي محمد الجندي ص ١٠٥ ــ بحث منشور ضمن بحوث ندوة " قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية " الناشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي ط أولى ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٦م .

(٢) الفلسفة الإسلامية في المغرب للدكتور محمد غلاب ص ٦٢ الناشر جمعية الثقافة الإسلامية بالقاهرة ١٩٤٨م .

أ ــ أما أنه لم يعصم من الخطأ ولم يصل دائما إلى حقائق ثابتة ، فلأن العلماء قديما وحديثا سجلوا عليه مؤخذات ونقدات لبعض مسائله منها :

١ ــ المقولات العشر التي وضعها أرسطو فقد هاجمها المتكلمون ، وحذفها كلها أو بعضها آخرون [١] .

٢ ــ القياس : فمبناه على الاستقراء لأنه منطو دائما على كلية ، كلية استقرائية ، وقضايا الاستقراء ظنية وميدانها المحسات ، فنتائج القياس ظنية كذلك ، كما أن المناطقة لا يتشرطون في مقدمات القياس أن تكون مسلمة صادقة في نفسها ، وإنما يشترطون أن يسلمها المتجادلون فحسب ، وقد تكون ــ كما يقول صاحب البصائر النصيرية ــ منكرة كاذبة في نفسها ، وفي هذه الحالة يكون القياس صحيحاً ونتيجته باطلة [٢] .

٣ ــ الاستقراء : فإنه ظني وميدانه المحسات خاص بالطبيعة ، ولا شأن له بما وراءها [٣] ، كما أن التقسيم الأرسطي للاستقراء إلى كامل وناقص غير صحيح لأن الاستقراء الكامل يكون من قبيل الاستنباط [٤] .

---

(١) يراجع مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي للدكتور على سامي النشار رحمه الله ص ٤٥ ــ ٤٧ ط دار المعارف بالإسكندرية ــ مصر ١٩٦٥م .

(٢) الإسلام والعقل للدكتور عبد الحليم محمود هامش ص ٦٧ ط ثانية دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٥م .

(٣) السابق نفس الصفحة .

(٤) ينظر : الأسس المنطقية للاستقراء لمحمد باقر الصدر ــ من علماء الشيعة ــ رحمه الله ص ١٤ ط خامسة دار التعارف للمطبوعات ــ بيروت ــ لبنان ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م .

ب ــ وأما أنه وصل إلى العالم الإسلامي مشوهاً : فلأن النصرانية في العصر الهلينستي كان لها موقفا من منطق أرسطو حيث إن القساوسة والكهنة قسموا المنطق إلى قسمين :

١ ــ قسم يحل قراءته : وهو القسم الشكلي من المنطق من أول المقولات إلى نهاية التحليلات [١] .

٢ ــ وقسم يحرم قراءته : وهو القسم المادي من بداية التحليلات الثانية إلى نهاية المنطق .

فالنصرانية أخذت إذن من منطق أرسطو جانباً واحداً هو الجانب الشكلي ، ورفضت تماما الجانب المادي البرهاني الذي يبحث عن الحق المطلق ، ويسبب لهم كثيراً من المتاعب وفي تدريسه خطورة على عقول التلاميذ ، وحتى في العصر الإسلامي رفض يوحنا بن حيلان أن يدرس للفارابي (٢٥٩هـ ــ ٣٣٩هـ) القسم الثاني من المنطق إلا بعد إلحاح ومجهودات ومحاورات ، وذلك لأن القسم الثاني من المنطق يهدف إلى البحث عن الحق لذاته ويفرق بين الكلام البرهاني اليقيني المستند إلى الواقع ، وبين الكلام الجدلي والكلام الخطابي والشعري والكلام الذي لا يقف أمام منطق العقل ، بخلاف القسم الشكلي الذي يستفيدون منه في المحاورات والمجادلات وغرس العقائد المحرفة في نفوس أتباعهم [٢] ،

---

(١) كتب أرسطو المنطقية ستة أقسام أو كتب شملها كتابه " التحليلات " وهي : ١ ــ كتاب المقولات ، ٢ ــ كتاب العبارة ، ٣ ــ التحليلات الأولى ، ٤ ــ التحليلات الثانية ، ٥ ــ الجدل ، ٦ ــ الأغاليط ، ينظر : المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم لأستاذنا الدكتور عوض الله حجازي ــ رحمه الله ــ ص ٣٢ ــ ٣٣ .

(٢) قصة الصراع بين منطق اليونان ومنطق المسلمين للدكتور سعد الدين صالح ص ١٦٧ ــ ١٦٩ بتصرف .

ومن الشواهد التي تؤيد ذلك أن أكثر مترجمي المنطق إلى اللغة العربية كانوا نصارى مثل : أبو نوح ، وآخر يسمى " سلم " كان معاصراً للخليفة المأمون ( ت ٢١٨ هـ ) ، وحنين ابن إسحاق ( ١٩٤ هـ ـ ٢٦٤ هـ) وأبو بشر متى بن يونس ، عبد المسيح بن ناعمة الحمصي ، يحيي بن عدي (ت ٢٦٤هـ) [١] .

جـ ـ أضف إلى هذين الأمرين ـ وهما :عدم وصول منطق أرسطو إلى حقائق ثابتة وعدم عصمته من الخطأ ثم وصوله إلى العالم الإسلامي مشوها ـ أمراً ثالثا وهو أن استدلالات المنطقيين يشوبها نقص وعليها ملاحظات ومن أمثلة ذلك دليل الجوهر الفرد أو الجزء الذي لا يتجزأ في الاستدلال على وجود الله لم يسلم من الطعن ، وكذلك دليل الممكن والواجب الذي ينسب إلى الجويني والفارابي وابن سينا [٢] ، بل إنهم في مسألة الوحدانية نجدهم عند إيرادهم لدليل سموه " دليل التمانع " صاغوه إنطلاقاً من الآية الكريمة " **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ...** " الأنبياء ٢٢ أفسدوا الاستدلال ولم يصيغوه صياغة صحيحة كما تريده الآية الكريمة فكان مأخذاً عليهم بدل أن يكون دليلاً [٣] . مع أن الآية تشكل دليلاً برهانيا صحيحاً يشتق من الواقع صحته وقوته ، فهو يرتب الفساد على التعدد ، ولما كان الكون ليس كذلك ، بل في غاية الإتقان والإحكام ، فقد دل على أن له إلهاً واحداً [٤] .

---

(١) ينظر : مناهج البحث للدكتور النشار ص ٧ ـ ٨ .

(٢) يراجع : مقدمة في نقد مدارس علم الكلام للدكتور محمود قاسم قدّم بها لكتاب مناهج الأدلة لابن رشد ص ١٢ ـ ١٨ ط ثالثة مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٩م .

(٣) يراجع السابق ص ٣١ وما بعدها .

(٤) منهج البحث في علم العقيدة في ضوء التطور العلمي الحاضر للدكتور محمد عبد الستار نصار ص ٣١٤ بحث ضمن ندوة " قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية "

كل أولئك ــ وغيره ــ يجعلنا انطلاقاً من عالمية الإسلام الشاملة لجميع شئون الدين والدنيا ومنها مجال التربية والثقافة والفكر ندعو إلى أن يكون الاستدلال القرآني هو القيم والموجه والمرشد والحكم أيضا على الدراسات المنطقية ، وهذه دعوى ليست عارية عن الدليل بل لها ما يؤيدها من الشواهد والوقائع التطبيقية التي تبين وجاهتها وصحتها وصدقها ، ودعا إليها نفر غير قليل من العلماء قديما كابن رشد (ت ٥٩٥ هـ ) في مناهج الأدلة ، وابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ ) في (الرد على المنطقيين) والسيوطي ( ت ٩١١ هـ ) في صون المنطق وغيرهم ، ومن المعاصرين د/ محمد غلاب ــ رحمه الله ــ في كتابه " هذا هو الإسلام " ، ومحمود قاسم في تقديمه لكتاب مناهج الأدلة ، ود / عبد الحليم محمود في كتابه " الإسلام والعقل " ، و د/ محمد السيد الجليند في كتابه " نظرية المنطق بين فلاسفة الإسلام واليونان " وغيرهم كثيرون ، وإذا أردنا شواهد تطبيقية تبين استيعاب الاستدلال القرآني لغيره من الاستدلالات على مرّ التاريخ الإنساني ، ثم زيادته عليه فحسبنا هذه الإشارات لمن يعدون قمم الفكر في دنيا الناس :

أ ــ فهل مذهب ( أناكسا غوراس) [1] الذي يتخذ حكمة الإله الممثلة في الكون وتسيير الكواكب برهانا على وجوده وكماله هو ما أشارت إليه آيات القرآن الكريم من مثل قوله تعالى : " **أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ..** " الأعراف ١٨٥ وقوله تعالى : " **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب** " آل عمران ١٩٠ .

---

(١) فيلسوف إغريقي ولد في سنة ٥١٠ وتوفى ٤٢٨ قبل ميلاد المسيح عليه السلام .

ب ــ وحينما ينتقل القرآن بالناس من الأمر بالتفكر في الكون إلى التأمل في النفس واشتملت عليه خفايا وأسرار بقوله تعالى : " **وفي أنفسكم أفلا تبصرون** " الذاريات ٢١ ، هل يوجد أبلغ من هذه الآية في تقرير مذهب " سقراط ( ٤٦٩ ــ ٣٩٩ ق . م) المؤسس على حكمة " اعرف نفسك بنفسك " حيث يرى أن أعمق برهان فلسفي على وجود الإله هو ما ينبع من داخل النفس البشرية ..

جـ ــ ومن جانب ثالث نجد في الاستدلال القرآني ما يتجه إلى بيان أن للمسببات أسبابا وللمعلولات عللاً وللموجودات موجد " **هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب .. الآيات** " سورة النحل ١٠ ــ ١٣ ، وهذه هي الطريقة الثالثة من طرق النظر العقلي وهي تتبع الأسباب صعوداً في سلسلتها المحكمة من السبب المباشر إلى السبب الأول الذي هو منشأ كل شيء وليس ناشئا عن شيء وهذا هو مذهب "أرسطو" وتلك هي وسيلته في كشف أسرار الكون وخفايا الوجود [١]

وإذا سرنا مع الزمان فإننا نظرية " الأوهام الأربعة " لفرنسيس بيكون " ١٥٦١م ــ ١٦٢٦م " والتي اعتبرها مؤرخو الفلسفة سبقاً منقطع النظير نجدها لا تخرج عن مضمون أحد جانبي منهج القرآن العقلي للوصول إلى

---

(١) ينظر : ينابيع الفكر الإسلامي وعوامل تطوره للدكتور محمد غلاب ص ٢٠ ــ ٢١ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ العدد ٦٣ جمادى الآخرة ١٣٨٦ هـ ــ سبتمبر ١٩٦٦م ويراجع تفصيل ذلك في كتابه الآخر " من كنوز الإسلام " ص ٧٤ ــ ٨٠ ط أولى منشورات المكتبة الشرقية بالقاهرة ١٩٥٨م وكتابه " هذا هو الإسلام " ص ٤٠ ــ ٤٤ ط مطابع الشعب ١٩٥٩م سلسلة " كتاب الشعب " .

الصواب " وهما جانبا الهدم والبناء " اللذين سبق ذكرهما ، فهذه النظرية لا تخرج عن مضمون جانب الهدم سواء قلنا بإطلاعه على المترجمات الإسلامية أو عدمه [١] . وأيضا استيعاب الاستدلال القرآني لمناهج المعرفة البشرية على اختلافها وتنوعها وتوجيهه لها وتقويمه إياها كما ذكرنا أوائل البحث ، وإذن فالنتاج البشري كله لا يقف أمام الاستدلال القرآني على قدم المساواة .

---

(١) يراجع : المنطق عند المسلمين للدكتور سعد صالح ص ٥٣ .

## الخاتمة

وبعد هذه الجولة النورانية القرآنية في ظلال الوحي الإلهي والاستدلال القرآني يمكننا الوقوف على بعض الجوانب نشير إليها ونركز الضوء عليها وهي :

١ ــ أن الاستدلال القرآني يغني عن غيره من أنواع الاستدلال ، ولا يغني غيره عنه فهو يشتمل على الجانب العقلي والحسي والذوقي ويوجهها الوجهة الصحيحة ، أما غيره فيقتصر على أحد هذه الجوانب وقد يحسن استخدامه وتوجيهه وقد يسيء .

٢ ــ دراسة المنطق وفق التوجيه القرآني يضبط مساره ، ويضمن له العصمة من الخطأ ، وينمي الجانب الإيماني في الدارس بجوار الجانب العقلي ، ويقضي على جفاف وصعوبة الدرس المنطقي ، ويأخذ بأيدي صاحبه وخصمه إلى الصواب من أقرب طريق عن رضا واقتناع وإذعان .

٣ ــ تكامل منهج الاستدلال القرآني حيث يعتمد العقل والحس والذوق في منظومة متكاملة يظللها توجيه الوحي الإلهي في قيامه بإفراغ العقل من الأخطاء التي علقت به وترسخت فيه ثم إمداده بما هو الحق والصواب أو فيما يعرف بقاعدتي الهدم والبناء .

٤ ــ أن أدوات ووسائل المعرفة متعددة والاقتصار على بعضها دون بعض ينتهي بأصحابها إلى مجانبة الصواب ، فانتهى المنهج الحسي التجريبي بأتباعه إلى الإلحاد ، والعقلي بأصحابه إلى هوة الحيرة والشك والاضطراب ، والذوقي إلى فقدان من يشاركه كشفه وإشراقه ، فأصبح خاصاً بصاحبه لا يتعداه إلى غيره من الناس ،

بخلاف الاستدلال القرآني الذي جمع مع ميزاته وخصائصه المتعددة استخدام هذه الوسائل متكاملة فوصل بأصحابه إلى المعرفة اليقينية والحق والصواب .

وأخيراً نجد دعوات الأئمة العلماء والمفكرين قديما وحديثا والتي تنادي بالأخذ بهذا المنهاج القرآني في الاستدلال :

أ ـ فها هو ذا الإمام فخر الدين الرازي المتوفي ٦٠٦ هـ يقول عبارته الذائعة المشهورة : " لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أجدها تروى عليلاً أو تشفى غليلا ووجدت أصح الطرق طريقة القرآن " وأنشد قائلا :

نهاية إعمال العقول عقال
وأكثر سعي العالمين ضلال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى أن جمعنا فيه "قيل" و "قالوا"
وأرواحنا في وحشة من جسومنا
وحاصل دنيانا أذى ووبال

ب ـ ويقول الشيخ محمد الصادق عرجون (ت ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م) في كتابه " من رياض القرآن " ص ١٠ ـ ١١ : " .. فطريق القرآن الكريم في الاستدلال وتوجيه العقول والمشاعر لإدراك أعمق الحقائق أيسر وأشمل وأقوم .. ونوجه الناظرين في القرآن الكريم والداعين إلى نشر قضاياه ومبادئه إلى أن يعملوا على إشاعة الأسلوب القرآني وتقريبه بما يرفع الحجب الاصطلاحية عن وجهه الجميل ... وهذه دعوة ننادي بها للعمل على إقامة

صرح العلوم الإسلامية ولاسيما علم التوحيد ودراسته العلمية في مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا على دعائم الأسلوب القرآني الحكيم .

وبعد : فهذه كلمات أسأل الله تعالى أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم نافعة لكاتبها وقارئها وسامعها ، وأن تجد لها موقعاً في الفكر والقلب والعمل ، وتنتقل من النظرية إلى التطبيق ، ولله در الشاعر :

كل نهر لا ارتواء به ... لا أبالي سال أم نضب

كل نجم لا اهتداء به ... لا أبالي لاح أم غرب

إن صدقا لا أحس به ... لهو شيء يشبه الكذب

نسأل الله تعالى الصدق في القول والإخلاص في العمل ، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

والحمد لله رب العالمين ..

## مصادر ومراجع البحث

ـ القرآن الكريم

١ ـ **ابن تيمية** : الإمام : أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ ) : شرح العقيدة الأصفهانية تحقيق سعيد بن نصر ط أولى مكتبة الرشد بالرياض سنة ١٤٢٢هـ ٢٠٠١ م .

٢ ـ **ابن القيم** : الإمام محمد بن أبي بكر الدمشقي (ت ٧٥١هـ ) : إعلام الموقعين عن رب العالمين ط دار الجيل ـ بيروت ـ لبنان ١٩٧٣م .

٣ ـ **أبو زهرة** : الشيخ محمد ـ رحمة الله ـ (ت ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م ) : ـ المعجزة الكبرى ط دار الفكر العربي ـ مصر ـ د . ت

٤ ـ **أبو المجد** : الأستاذ سيد " مستشار فني سابق بمنظمة المؤتمر الإسلامي " : الملكات العقلية في القرآن الكريم : بحث منشور ضمن المحاضرات العامة للموسم الثقافي الثاني بقاعة المحاضرات الأزهرية الكبرى " محمد عبده " ـ الدورة الأولى لعام ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م ط مطبعة الأزهر .

٥ ـ **الأصفهاني** : أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب (ت ٥٠٢ هـ ) : ـ الذريعة إلى مكارم الشريعة ـ تحقيق د/ أبو اليزيد العجمي ط أولى دار الوفاء بالمنصورة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

٦ـ **باشا** : دكتور : أحمد فؤاد " أستاذ بكلية العلوم ـ جامعة القاهرة " نسق إسلامي لمناهج البحث العلمي : بحث منشور ضمن بحوث

ندوة " قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية " المنعقد بالجزائر في سبتمبر ١٩٨٩م بالمشاركة بين المعهد العالمي للفكر الإسلامي وجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بالجزائر . الناشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالقاهرة ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م .

٧ـ **الجليند** : د/ محمد السيد " أستاذ بكلية دار العلوم ـ القاهرة " : نظرية المنطق بين فلاسفة الإسلام واليونان ط أولى الناشر مكتبة الزهراء بالقاهرة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م .

٨ ـ **جمعه** : دكتور علي " مفتي الديار المصرية " مداخل إلى العلوم التراثية .

٩ـ **الجندي** : دكتور محمد علي محمد " أستاذ الفلسفة بكلية الدراسات العربية ـ جامعة المنيا " : المناهج بين النظرتين الأحادية والتعددية . بحث منشور ضمن بحوث ندوة " قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية " الناشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالقاهرة ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م .

١٠ ـ **حجازي** : دكتور عوض الله " رئيس جامعة الأزهر الأسبق " رحمه الله : المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم ط تاسعة دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م .

١١ ـ **السباعي** : كاظم : القرآن كتاب حياة ط منشورات الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

١٢ ـ **سبع** : الشيخ توفيق " من علماء الأزهر " رحمه الله : واقعية المنهج القرآني ـ سلسلة البحوث الإسلامية ـ السنة الخامسة العدد

٧٠ شوال ١٣٩٣هـ ـ أكتوبر ١٩٧٣م ط مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة ـ مصر .

١٣ـ صالح : دكتور سعد الدين " عميد كلية أصول الدين بالزقازيق سابقا " رحمه الله :

أ ـ العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث ط ثانية دار الصفا ـ بالقاهرة ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .

ب ـ قصة الصراع بين منطق اليونان ومنطق المسلمين : دكتوراه منشورة الناشر دار الأرقم بالزقازيق ـ مصر ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .

جـ ـ المنطق عند المسلمين ط ١ جامعة الإمارات العربية المتحدة ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .

١٤ ـ الصدر : محمد باقر : "من علماء الشيعة المعاصرين " رحمه الله : الأسس المنطقية للاستقراء ط خامسة الناشر دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

١٥ ـ الطويل : دكتور توفيق ـ رحمه الله ـ : أسس الفلسفة ط سابعة دار النهضة المصرية ١٩٧٩ م .

١٦ ـ عبد العظيم : الأستاذ علي " ولد ١٩٠٩م وتخرج من دار العلوم ١٩٣٢م ، كان عالماً جليلاً من أتراب د/ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ت ١٩٧٨م ، ود/ محمد البهي ت ١٩٨٢م ، مصاحبا لهما ولغيرهما من أفذاذ العلماء " : فلسفة المعرفة في القرآن الكريم ـ سلسلة البحوث الإسلامية ـ السنة الخامسة ـ العدد ٦٥ ـ جمادي الأولى ١٣٩٣هـ ـ يونية ١٩٧٣م الناشر مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة ـ مصر .

١٧ ــ **عبيدات** : دكتور عبد الكريم نوفان : " دكتوراه من جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان " : الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية : دكتوراه منشورة ــ ط أولى الناشر دار النفائس ــ الأردن ١٤٢٠هـ ــ ٢٠٠٠م .

١٨ ــ **عرجون** : فضيلة الشيخ محمد الصادق " شيخ علماء الإسكندرية في خمسينات القرن العشرين وعميد كلية أصول الدين في الستينات

أ ــ من رياض القرآن الناشر : معهد الإسكندرية الديني ١٣٧٨هـ ــ ١٩٥٩م .

ب ــ موقف القرآن من نظريات العلم ومخترعاته . الناشر معهد الإسكندرية الديني ١٣٧٨هـ ــ ١٩٥٩م .

١٩ ــ **عناية** : د/ غازي " أستاذ بجامعة الجزائر " : عناصر المنهج العلمي في القرآن والسنة : بحث منشور ضمن بحوث ندوة قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية " الناشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالقاهرة ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م .

ــ **الغزالي** : الإمام أبو حامد أحمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ ) : معيار العلم في فن المنطق تحقيق الشيخ محمد مصطفى أبو العلا ط مكتبة الجندي بالحسين ــ مصر ١٩٧٣ م .

٢٠ ــ **غلاب** : د/ محمد " كان أستاذ للفلسفة بأصول الدين بالقاهرة ت ١٣٩٠هـ ــ ١٩٧٠م "

أ ــ الفلسفة الإسلامية في المغرب الناشر جمعية الثقافة الإسلامية بالقاهرة ١٩٤٨م .

ب ــ من كنوز الإسلام ط أولى الناشر المكتبة الشرقية بالقاهرة ١٩٥٨م .

جـ ـــ هذا هو الإسلام : سلسلة كتاب الشعب العدد ٦٥ ط مطابع الشعب ١٩٥٩م .

د ـــ ينابيع الفكر الإسلامي وعوامل تطوره ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـــ سلسلة دراسات في الإسلام ـــ جمادي الاخره ١٣٨٦هـ ـــ سبتمبر ١٩٦٦م .

٢١ ـــ **قاسم** : د/ محمود " عميد كلية دار العلوم سابقا ت ١٣٩٣هـ ـــ ١٩٧٣م " ،

نقد مدارس علم الكلام ـــ مقدمة لكتاب مناهج الأدلة لابن رشد ط ثالثة مكتبة الأنجلو بالقاهرة ١٩٦٩م .

٢٢ـــ **محمود** : دكتور عبد الحليم : " شيخ الأزهر الأسبق ت ١٣٩٨هـ ـــ ١٩٧٨م " رحمه الله

الإسلام والعقل ط ثانية دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٥م .

٢٣ ـــ **مراد** : دكتور بركات محمد :

منهج الجدل والمناظرة في الفكر الإسلامي ط أولى الناشر الصدر لخدمات الطباعة بالقاهرة ١٩٩٠م .

٢٤ـــ **نصار** : دكتور محمد عبد الستار " أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر " :

منهج البحث في علم العقيدة في ضوء التطور العلمي الحاضر . بحث منشور ضمن بحوث ندوة " قضايا المنهجية في العلوم الإسلامية والاجتماعية " الناشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالقاهرة ١٤١٦هـ ـــ ١٩٩٦م .

٢٥ـــ **النشار** : دكتور على سامي " كان أستاذاً بجامعة الإسكندرية "

مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي ط ثانية الناشر دار المعارف بالإسكندرية ١٩٦٥م

**دوريات :**

١ ـ حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية ـ العدد ١٤ لعام ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤ م .

٢ ـ مجلة " الباحث " السنة التاسعة ـ العددان الأول والثاني لعام ١٩٨٧ ـ تصدر في لبنان .

## فهرس الموضوعات


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| ـ مقدمة | ٣ |
| ـ تمهيد | ٨ |
| ـ مناهج المعرفة البشرية | ١٦ |
| ـ خصائص وميزات الاستدلال القرآني | ٢٦ |
| ـ أنواع الاستدلال القرآني | ٣٥ |
| ـ مناهج الاستدلال القرآني | ٤٠ |
| ـ نماذج تطبيقية للاستدلال القرآني | ٤٤ |
| ـ ضرورة الاستدلال القرآني لدارسي المنطق | ٤٧ |
| ـ الخاتمة | ٥٤ |
| ـ مصادر ومراجع البحث | ٥٧ |
| ـ فهرس الموضوعات | ٦٢ |

# محتويات العدد السادس والعشرون

## الجـزء الثالـــث


| الموضـــوع | اســم الدكتــور | الصفحـات |
|---|---|---|
| تأبين فقيد المجمع [ الأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي ] | مجمع اللغة العربية | أ : ي |
| علاقة القبض بالعقود وصورها قديماً وحديثاً | د / لمياء محمد متولى | ١ : ١٤٢ |
| أهم الصفات والآداب التي يجب أن يتحلى بها الناظر فى الجمع بين الأدلة | د / على بن محمد بن حسن العطيف | ١٤٣: ٢٠٦ |
| بنية القصيدة العربية القديمة | د / فغيران أنق الدكتور الحاج أمير الدين عالم شاه | ٢٠٧ : ٢٣٤ |
| أحكام المسابقات والمراهنات فى الشريعة الإسلامية | د / عبد الباسط محمد خلف | ٢٣٥ : ٣٨٠ |
| قواعد ضبط الرواية فى عصر الصحابة | د / جاد الرب أمين عبد المجيد محمد | ٣٨١ : ٤٥٦ |
| أدوات التمنى الفرعية فى القرآن الكريم ودلالاتها | د / سعيد اسماعيل الهلالى | ٤٥٧ : ٥٨١ |
| الإستدلال القرآني ضرورة لدارسي المنطق | د / صلاح محمود العادلي | ٥٨٣ : ٦٤٨ |